

الصحافة وأدباء المهجر

أسهموا في إثراء وجداننا وتوسيع مداركنا

فؤاد الحاج

الصحافة وأدباء المهجر

أسهموا في إثراء وجداننا

وتوسيع مداركنا

فؤاد الحاج

الإهداء

إلى المتمسكين بلغة الأجداد والآباء وتراثهم

إلى محبي الشعر والأدب والثقافة

إلى أبناء أمة تنشط في ولادتها لترقى مجدداً إلى مصاف الأمم في آفاق النهضة الأدبية العالمية

إلى من يؤمن بأن الحياة كانت كلمة وإلى الذين حافظوا على نقائها وصفائها

إلى المهاجرين والمُهجرين على أرصفة الاغتراب وإلى المقيمين في ديار الأوائل من الشعراء والأدباء

إلى كل شمعة تحترق لتنير الدرب للآخرين

إلى المتحررين من التعصب ومن الطائفية والمذهبية وعبادة الشخص

إليهم أهدي هذا الكتاب

تقدير وعرفان

إلى الصديق الأديب والشاعر الدكتور عبد المطلب محمود في بغداد لتدقيقه نصوص الكتاب وملاحظاته القيمة.

وإلى الصديق الدكتور عماد برو (أبو علي) في سيدني / أستراليا على ملاحظاته ومساعدته القيمة في الحصول على معلومات عن منتديات أدبية في سيدني.

فؤاد الحاج – ملبورن / أستراليا ١٠/١٠/٢٠٢٥

قبل أن أبدأ

كل ما يرد في هذا الكتاب هو لمحات مختصرة قدر الإمكان، عن مختلف المواضيع التي انتقيتها لإبراز دور أدباء وشعراء المهجر في نشر الوعي، من خلال تأسيس الصحف التي أنشأوها في البلدان التي حلوا فيها.

وهذا كان حلمي الذي ابتدأت في تحقيقه عندما أصدرت عدداً خاصاً من مجلة (الضاد) عام ١٩٩٣، ضم أسماء كل الشعراء والأدباء في أستراليا، مع نماذج من أشعارهم وكتاباتهم آنذاك، ثم توقفت بسبب الظروف السياسية التي مرت بها بلدان المنطقة، وفي عام ٢٠٠٠ طلب مني المرحوم الدكتور إلياس فرح أن أبتعد عن السياسة والعودة إلى الأدب والشعر، ولم أفلح رغم وعدي له بذلك، وشاءت الظروف أن تصل أمة النكبات إلى الحضيض تدريجياً بعد سنة ٢٠٠٣، والإحباط الذي انتابني نتيجة انقسام وخيانات الأخوة الأعداء، على الرغم من استمراري في إصدار جريدة (المحرر) التي أصدرتها كمطبوعة ورقية عام ١٩٩٢ ثم حولتها إلى شبكة الإنترنيت عام ٢٠٠٤ بالتعاون مع

الصديق إبراهيم عبيد في أميركا واستمرت حتى عام ٢٠١٦، وكانت نفسي تراودني بالعودة إلى الكتابة في مجالات الأدب والشعر والثقافة بعيداً عن السياسة، وهاأنذا أجمع شتات أفكاري وأسكبها متفرقة في هذا الكتاب، علّني أروّح عن نفسي القلقة محققاً وعدي بالعودة إلى الكتابة في الأدب والشعر والثقافة.

تنويه وتقديم

قرأت واطلعت على الكثير من الكتب والأوراق والدراسات التي تناولت تاريخ الجالية اللبنانية في أستراليا، وكذلك بعض ما نشر من كتابات في بعض الصحف التي تصدر في لبنان، وفي مصر وسوريا وبعض بلدان الخليج العربي، وفي صحف عربية صدرت في لندن وباريس، بالإضافة إلى الوثائق الرسمية في دوائر الهجرة الأسترالية، ومكاتب السفريات البحرية القديمة التي أقلت المسافرين من لبنان إلى هذه الديار منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عبر مرفأ بورسعيد في مصر، كما اطلعت على الكثير من الآراء التي يتداولها بعض أبناء الجاليات العربية في أستراليا، عن مراحل هجرتهم أو هجرة أجدادهم وآبائهم، من خلال مقابلات شخصية أجريتها معهم. وبعد بحث مضنٍ واستقصاء نخبة من المصادر والمراجع المكتوبة، وبعد سماعي للكثير من الآراء ممن التقيتهم من بعض أجيال المهاجرين اللبنانيين الأوائل، قمت بالتدوين والتحليل، ثم استنتاج ما رأيت أنه جدير بأن يثبت كشهادة تاريخية موثقة، محاولاً في ذلك التزام

جانب الموضوعية، مع تصحيح معلومة هنا أو خطأ هناك مما ورد في تلك المصادر، دون أن أذكر اسم المصدر وكاتبه، كي لا يؤخذ كلامي على أنه شخصي، أو إنتقاص من أهمية ما ورد فيها من معلومات على الرغم من أهميتها، لأن الذين سبقوني في هذا المجال يمكن اعتبارهم شئنا أم أبينا، أنهم حاولوا جاهدين تثبيت البداية الأولى لمحاولة تدوين تأريخ هجرة اللبنانيين إلى أستراليا. ولا أدعي الكمال في كل ما أورده في هذا الكتاب من معلومات، لأنني لست بمؤرخاً بكل معنى الكلمة، ولا متخصصاً أكاديمياً في تدوين البحوث والدراسات والحقب التاريخية، بل باحث عن حقائق تاريخية موثقة، لأنني أعتقد أن الصحافي هو مؤرخ مرحلي، يدوّن الأحداث والوقائع كما شاهدها، والحكم عليها يُرى بعد مدةٍ زمنية مهما طالت أو قصرت، عندما يقوم المؤرخون المختصون بالبحث والتدقيق في أحداث ومجريات الماضي القريب والبعيد.

ولذاكرة التاريخ أوضح أنه في عام ١٩٨٥ كانت بداية انطلاقي في البحث والتدوين عن تاريخ الهجرة اللبنانية إلى أستراليا، من خلال عملي التطوعي في "لجنة اليوم اللبناني" التي تشكلت آنذاك للمشاركة

في احتفال ولاية فيكتوريا بمناسبة مرور مائة وخمسين عاماً على وصول أوائل المهاجرين إليها، ثم من ضمن عملي التطوعي مع مجموعة إعداد الأرشيف الخاص للمكتبة المركزية في ملبورن، قمت بزيارات إلى عدد من الولايات وبعض المناطق في ولاية فيكتوريا، وأجريت لقاءات مع أحفاد من اللبنانيين الأوائل، فحصلت على كمٍ كبير من الوثائق والصور والمعلومات، كي أصدرها في كتاب شامل، يتناول تاريخ موجات الهجرات العربية المتتالية إلى أستراليا، ومنجزاتهم الثقافية والإعلامية، والاقتصادية، والسياسية، والرياضية التي قدموها، إلا أنني وجدت صعوبة في تحقيق ذلك لأسباب عديدة، فأبقيت تلك الوثائق والصور نائمة في أدراج مكتبي ولم تزل، أعود إليها لأوقظها مُجَدَّداً، مختاراً منها ما يسعفني في الكتابة عن تاريخ أدباء المهجر ليس في أستراليا فحسب، بل وفي أوائل بلدان الاغتراب، وقد قمت بتدوين مراحل الهجرات العربية عامة واللبنانية خاصة إلى أستراليا، ذكرت فيها بعض أسماء الشخصيات من أصول لبنانية، ودورهم في المجالات الصناعية والفنية والسياسية، والأدبية والثقافية والإعلامية ومنجزاتهم التي برزوا فيها، مع فصل شامل لتأريخ الصحافة العربية منذ نشأتها في البلدان العربية والمهجرية، وكل صحيفة ومجلة ونشرة صدرت في أستراليا منذ

عام ١٩٥٧ في عدة فصول من كتابي (الصحافة العربية في أستراليا) الذي صدرت الطبعة الأولى منه عام ٢٠١١ والطبعة الثانية كانت مزيدة ومنقحة عام ٢٠١٢ في ٣٩٤ صفحة من القطع الكبير، ركزت فيه على تاريخ هجرة اللبنانيين الأوائل، ومساهماتهم في بناء أستراليا خلال قرن ونصف القرن منذ بداية وصولهم إلى هذه الديار عام ١٨٦١، حسب الوثائق المتوفرة لدي، ومنهم الأطباء، والجراحون، والمحامون، وأساتذة المدارس والجامعات، والمعاهد العلمية، وأصحاب الشركات والمؤسسات الصناعية والمحال التجارية على اختلافها، مثل الأفران، ومحطات الوقود، والمطاعم، والمزارع، ودور النشر والطباعة، وكتابة ولفظ عدد كبير من الأسماء باللغتين العربية والإنكليزية، إضافة إلى العاملين في مجالات الوظائف والخدمات الاجتماعية في الدوائر الرسمية والخاصة وغير ذلك من مجالات أخرى، وأسماء الوزراء والنواب والقيادات العسكرية، وأعضاء البلديات في الولايات الأسترالية من أصول لبنانية حتى عام ٢٠١٠، وهذه المعلومات لن أتطرق إليها بالتفاصيل في هذا الكتاب، بل سأذكر ما له علاقة بأدباء وشعراء المهجر، وإسهاماتهم في تأسيس الصحف وإنجازاتهم التي تركت بصمتها في كافة المجالات الأدبية، مع لمحة عن تاريخ العرب وغير

ذلك من معلومات وأثر الأدب العربي في الحضارة الأوروبية، وليس من شك في أن مثل هذا الجهد لا ينهض به باحث فرد، وإنما هو في حاجة إلى تضافر جهود وتعدد باحثين للوصول إلى المعلومات الشاملة والمفصلة عن مختلف الموضوعات التي أتناولها، ومنها موضوع التراث الشعبي واللهجات العامية.

من هنا أبدأ..

الخبر وقواعد صياغته

كي يعرف القارئ قواعد صياغة الخبر أقول أن الخبر بشكل عام هو تلخيص لحدث في زمان ومكان ما، وحقيقته واحدة، إنما مفردات صياغته تختلف بين كاتب وآخر، ولكن كلها موظفة لغرض نقل واقع ذلك الحدث، لأن مقوماته الفنية ترتكز عادة على الإجابة على خمسة أسئلة تعتبر الهيكل الأساسي لنشر الخبر وهي: من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟ كيف؟، ويعتبر الخبر متكاملاً في حال تضَمن أجوبة عن كل الأسئلة المذكورة، لأن الكثير من وسائل الإعلام العربية تقدّم أخباراً مبتورة، أي ناقصة عنصراً أو أكثر من عناصر صياغة الخبر الناجح المشار إليها آنفاً.

والخبر، صنفان: صنف يعبّر عن الحوادث والوقائع كما وقعت بالفعل، بحسب معاينة الصحافي للحدث، أو استدلاله على معطيات مصادر مختلفة التي الخبر، مثل شاهد عيان أو أكثر على الحدث.

والصنف الثاني وهو الأحطر هو الخبر المسموم، كأن يأتي ضيف على إحدى الفضائيات أو وسائل الإعلام حاملاً لقباً علمياً أو سياسياً

أو عسكرياً أو إعلامياً مثل "قيادي سابق" في حزب ما، أو "خبير اقتصادي" أو "أستاذ تاريخ"، أو "رئيس تحرير صحيفة معروفة عالمياً"، أو "خبير عسكري استراتيجي"، أو "رئيس أركان حرب"، أو "مدير معهد دراسات وبحوث"، وغير ذلك من صفات وألقاب برزت منذ تسعينيات القرن الماضي الذين ضيَّفتهم وسائل إعلام مرئية ومكتوبة، وبين هذه الألقاب والكلمات يتم خداع المشاهد فتضيع الحقيقة، لأن المشاهد لا يعرف أن هذا الإعلامي الذي يجري الحوار مع الضيف إنما هو مرتهن لسياسة الفضائية أو الوسيلة الإعلامية المقروءة في البلد الذي تبث منه ويمولها، وأن الحوار لن يتم بثه إلا بعد مونتاج وعادة تحرير، حيث يتم حذف أو اقتطاع فقرات منه إلا ما ندر بحسب توجهات إدارة تلك الفضائية أو الصحيفة، وحسب مرحلة أو فترة الحدث موضوع الحوار، ومن بين تلك الأسئلة التي يطرحها الإعلامي توجد أسئلة محددة، مُصنَّعة في دوائر مخصصة، ومنها أسئلة لإثارة جمهور المشاهدين والقراء، وأن بعض الضيوف على الفضائيات إن لم أقل كلهم، يتلقون مبالغ مالية تختلف بحسب أهمية ومكانة وصفة الضيف، مع دفع قيمة بطاقة سفر درجة أولى وتضييف لمدة محددة تصل إلى أسبوع في الفنادق الفخمة، وما إلى ذلك من مصاريف يسمونها نثريات.

مع لفت الانتباه إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي السائدة في هذا الزمن تخضع لسياسة غير مرئية، تسهم في نشر الفوضى الهدامة، ومن يتابعها يرى أنها تبث سموماً طائفية ومذهبية، لشيطنة جهة ما، أو للتطبيل والتزمير لأخرى، ففي عصر الجيوش الإلكترونية وبرامج ما يسمونه الذكاء الاصطناعي لم يعد بالإمكان أو من السهولة معرفة الحقيقة.

الصحافة والأدب

ارتبط تاريخ الصحافة العربية منذ نشأتها بالأدباء العرب، الذين كان لهم الدور الأبرز في وضع نواتها، حيث كانت الصحافة في بدايتها وسيلة لنقل الأدب والثقافة، والتعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية، مما أثرى مفهوم الأدب وسهّل وصول كلام الأدباء إلى جمهور القراء.

ومع ازدياد أعداد المهاجرين من لبنان وسوريا وفلسطين منذ سنة ١٩٤٨ حتى ١٩٥٧، الذين كان الحنين يدفعهم إلى البحث عن تتبع أخبار وطنهم الأم تارة في وسائل الإعلام المسموعة، وتارة أخرى من خلال الصحف التي كان يحملها بعض القادمين الجدد، أو التي كانت تصل بالبريد العادي متأخرة أنذاك، نجد أن هؤلاء المهاجرين اللبنانيين حملوا معهم أحلامهم، ومأكولاتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وصحفهم، وثقافتهم، فبرزت فكرة إصدار الصحف التي ابتدأت مع صدور صحيفة (الوطن والمهجر) في سيدني – أستراليا عام ١٩٥٧.

ومنذ بداية الستينات صدرت عشرات الصحف والمجلات، التي أبرزت أسماء كثيرة في مختلف أنواع مجالات الأدب لاحقاً، ترك بعضها أثراً

في مجالات الشعر، وتأليف الروايات القصصية بأنواعها، والكتب التاريخية والتعليمية، باللغتين العربية والإنكليزية، ومع وصول موجات المهاجرين إثر الحرب المأساوية في لبنان (١٩٧٥ - ١٩٩٠)، شهدت تلك الفترة أوسع حركة إصدار صحف ومجلات عربية في أستراليا، بسبب الهجرات المتتالية، ليس من لبنان فحسب بل ومن العراق، وفلسطين، وسوريا، ومصر، والسودان، وإرتريا، وغيرهم من البلدان العربية، ولم يستمر من تلك المطبوعات إلا العدد القليل، التي انتقل معظمها مع حركة التطور التقني والفني في ميدان التواصل العالمي إلى شبكة الإنترنيت، على الرغم من قلّة الصحافيين الأكفاء، حيث آثر الأغلبية من العاملين في مجال الصحافة والإعلام في البلدان العربية، التوجه إلى الدول الأوروبية والخليجية، مما جعل عدداً من الذين عملوا في مجال الصحافة في أستراليا، أن ينحرفوا بأصول مهنة الصحافة إلى حدود متدنية، كما أن بعض الذين عملوا مراسلين أو مندوبين لتلك الصحف في الولايات الأسترالية، كانوا غير مؤهلين مهنياً وبعضهم لا يعرف من القراءة والكتابة سوى فك الحرف كما يقال، وعلى الرغم من ذلك، فإننا في المقابل نجد أن بعض أصحاب الصحف المؤهلين، قد

التزموا بأخلاقيات مهنة الصحافة معتمدين على الرقابة الذاتية، إضافة إلى مراعاة ضميرهم، ونشر ما يؤمنون به سياسياً وفكرياً.

لذلك أقول إن العلاقة بين الأدب والصحافة هي علاقة جدلية خاصة، لأن الصحافة مهنة، والمشتغل بها كالصائغ الذي يحكّ قطعة الذهب لتلميعها وجذب الأنظار إليها، والصحافي الملتزم بقضايا أمته إنما هو ضمير الشعب والمعبّر عن تطلعاته، فيُبرِز من خلال كلماته في الصحيفة أو في المجلة معاناة الشعب ومشاكله وقضاياه، ويكشف الطاقات المبدعة والموهوبين في مختلف المجالات، فيبرزها ويلفت الأنظار إليها، وينقل للحاكم العادل المهتم بشؤون الرعية تطلعات وآراء وهموم المواطن وقضاياه، كذلك هو الأدب في مختلف مجالاته، لأن الأديب هو الفنان الذي يغوص في أعماق الإنسان فيُعبّرُ بجرأة عن مشاعره وعن معاناة الشعب، إن من خلال الشعر أو القصة أو الرواية أو المسرحية، فالصحافي والأديب كلاهما مبدع في أسلوبه يُكمّل كل منهما الآخر، فهما والحال كذلك توأمان في فن الإبداع، وهما رئة الشعب ومتنفسه، لأن غايتهما صالح الإنسان ورفعته، وحرية الوطن وسيادته.

وبما أنني أؤمن أن الصحافي الحر والشريف، الملتزم بقضايا أمته، والشاعر الحر، هما ضمير الشّعب والمعبّر عن إرادته، فأن في كتابات كل منهما تكمن جذوة الثورة، التي منها تنطلق شرارتها الأولى، لذلك من المستغرب ألا نجد صحيفة، أو نشرة، أو كتاباً بالعربية، ولو بخط اليد، في البقاع التي يحل فيها أي منهما، مُهاجراً أو مُهَجَّراً، من أجل نشر فكر ورأي هذا الصحافي أو ذاك الشاعر بعيداً عن الظلم والتعسّف في موطنه الأصلي.

ومهما قيل في الصحافة الورقية، فأنها خاضعة للإعلان وللقوانين السائدة في البلاد التي تصدر منها، لذلك فأن مهنة الصحافة مُقَيَّدة، ولها قواعدها وارتباطاتها، وعلى الرغم من ذلك فأنها تبقى هي التي حملت المعول الذي هدم كل ما يعيق الإنسان في تفكيره، وحريته، واستقلال بلده، بينما الشاعر الحر لا علاقة له بكل تلك القيود، فهو حرّ في تغريده وتعبيره متى شاء، وفي الصحافة الحرّة يتنفس وينشر روائع نتاجه الفكري، والإنساني، ورأيه من خلال شعره بأساليب مختلفة، إضافة إلى ما ينشره في الكتب التي يصدرها إن على نفقته الخاصة أو على نفقة مؤسسة ما.

هكذا كانت الصحافة في بداياتها الأولى التي أخذت زخم قوتها من عدد من الأدباء والشعراء الذين أسسوا الصحف، ونشروا إبداعاتهم وأفكارهم الأدبية فيها، منذ أواسط القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في البلدان العربية وغيرها التي هاجروا إليها، ومنها مصر التي تزايدت الهجرة إليها من كافة أنحاء بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) نظراً لأن هذه البلدان كانت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، خاصة بعد مجازر سنة ١٨٦٠ في لبنان وسوريا، وكانت الغالبية العظمى من المهاجرين الذين وصلوا إلى مصر آنذاك من المتعلمين تعليماً عالياً ويتحدثون الفرنسية، وأسهموا بدورهم في رفاه مصر الثقافي والأدبي والمسرحي والسينمائي والمالي، لذلك تعتبر مصر من بلاد المهجر الأولى التي استقطبت أعداداً من الأدباء والشعراء والمثقفين من بلاد الشام، التي كانت تنوء تحت وقائع التخلّف والاستبداد، فأسسوا في مصر الصحف والمجلات وأصدروا الكتب الأدبية والثقافية والفنية، أذكر منهم الأديب والشاعر واللُغوي والمؤرخ، وأحد رواد النهضة العربية الحديثة، في القرن التاسع عشر أحمد فارس الشدياق (١٨٠١ أو ١٨٠٤ – ١٨٨٧) مؤسس مجلة ومطبعة "الجوائب"، وواضع معجم (الجاسوس على القاموس)، الذي لجأ إلى مصر فارّاً من بحر ظلمات

الاضطهاد، بعد أن (طمى الخطب حتى غاصت الركب) وعمل في جريدة "الوقائع" المصرية التي أنشأها الوالي محمد علي باشا، وغيره الكثير من الذين أسسوا الصحف والمجلات، ومنها جريدة (الأهرام) التي أسسها اللبنانيان سليم وبشارة تقلا في الإسكندرية عام ١٨٧٦ كصحيفة أسبوعية ثم أصبحت يومية في ١٨٨١، ثم تم نقل مقر الجريدة من الإسكندرية إلى القاهرة عام ١٨٩٩، وتعاقب على رئاسة تحريرها بعدهما: داوود بركات ثم انطون الجميل. ومجلة (الهلال) التي أسسها جرجي زيدان عام ١٨٩٢، التي تعد أول مجلة ثقافية شهرية عربية، –ما زالت تصدر حتى اليوم–، ومجلة (روز اليوسف) التي أسّستها فاطمة اليوسف بتاريخ ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٢٥، – ما زالت تصدر حتى اليوم–، ومجلة (الفتاة) التي أصدرتها وترأست تحريرها هند نوفل (١٨٦٠–١٩٢٠) عام ١٨٩٢، ونجيب متري (١٨٦٥ – ١٩٢٨) مؤسس (دار المعارف) في مصر عام ١٨٩٠ أكبر دور النشر العربية انتشاراً.

وفي حركة المسرح والسينما والغناء والموسيقى برز: بديعة مصابني (١٨٩٢ – ١٩٧٤) أسست (كازينو بديعة مصابني) في ميدان الأوبرا

سنة ١٩٢٩ الذي كان يُعتبر بمثابة أكاديمية للفنون تَخرَّج فيها أكبر نجوم الفن في ذلك الوقت، وكان رُوَّاد الكازينو من الأدباء والفنانين الذين كانوا يتَّخذون من الحديقة مكاناً لندواتهم ولقاءاتهم الأدبية والثقافية، وكان الأديب نجيب محفوظ يقيم ندوة أسبوعية فيه، ولور دكاش اسمها بالكامل لور جورج دقاش، وحُرف الاسم الأخير إلى دكاش (١٩١٧ – ٢٠٠٥)، التي اشتهرت بأغنيتها "آمنت بالله"، وإيليا بيضا الذي كان يمتلك شركة بيضافون وكان الموسيقار محمد عبد الوهاب شريكاً فيها، وعبد السلام النابلسي (١٨٩٩ – ١٩٦٨)، وآسيا داغر (١٩٠١–١٩٨٦): ممثلة ومنتجة سينمائية، وكانت من أوائل منتجات الأفلام في السينما المصرية، وماري كويني (١٩٠٨–١٩٩١): ممثلة ومنتجة سينمائية، أسست أول شركة إنتاج مصرية. وجورج أبيض (١٨٨٠ – ١٩٥٩): رائد المسرح العربي في مصر وغيرهم الكثير.

وفي الفكر واللغة والشعر والفلسفة وطلائع النهضة العربية منذ القرن التاسع عشر، انطلقت من مصر شخصيات ما زالت أسماؤها مدعاة فخر واعتزاز ومنهم: شبلي الشميّل ١٨٥٠ – ١٩١٧)، وفرح انطون (١٨٧٤ – ١٩٢٢)، وخليل سعادة (١٨٥٧ – ١٩٣٤)، وإبرهيم

اليازجي (١٨٤٧ – ١٩٠٦)، ومحمد رشيد رضا (١٨٦٥ – ١٩٣٥)، ونجيب سليمان الحداد (١٨٦٧ – ١٨٩٩)، وخليل مطران (شاعر القطرين) (١٨٧٢ – ١٩٤٩) وبعد وفاته أطلقوا عليه لقب "شاعر الأقطار العربية"، ويوسف بطرس كرم (١٨٨٦ – ١٩٥٩) ، وفليكس بن حبيب فارس (١٨٨٢ – ١٩٣٩)، وبشر فارس (١٩٠٦ – ١٩٦٣) رائد من رواد المذهب الرمزي في الأدب العربي، تولى أمانة سر المجمع العلمي المصري وكان يُدرّس في جامعة القاهرة، وفؤاد سليم حدّاد (١٩٢٧ – ١٩٨٥) من أبرز الوطنين المدافعين عن القضية الفلسطينية في منتصف القرن العشرين، وأسعد خليل داغر (١٨٦٠ – ١٩٣٥) أحد رموز الحركة الوطنية العربية، وجورج حبيب أنطونيوس (١٨٩٢ – ١٩٤٢) صاحب كتاب (يقظة العرب)، وجميل نخلة المدوّر (١٨٦٢ – ١٩٠٧) الأديب والمؤرخ والصحافي وقد اشتهر بكتابيه (حضارة الإسلام في دار السلام) و(تاريخ بابل وأشور)، لقد أغنت إسهامات هذه الشخصيات في إثراء الحركة الأدبية والثقافية والفنية ليس في مصر فحسب بل في أرجاء البلدان العربية، فتركوا بصمات لا تُنسى في تاريخ الفكر والأدب والفن والفلسفة، وأيقظوا الغافلين من سباتهم العميق آنذاك.

وأذكر هنا أسماء الصحافيين اللبنانيين الأوائل الذين نزحوا عن لبنان هرباً من الضغط والملاحقة اللذين كانوا يتعرضون لهما في بلادهم، بحسب ما يذكر الدكتور فيليب حتي في كتابه (تاريخ لبنان)، ترجمة الدكتور أنيس فريحة، ص ٥٨٠، الطبعة الثانية ١٩٨٥ طبعة دار الثقافة – بيروت)، "فقد هاجر معظمهم إلى مصر والخارج، حيث أنشأوا الصحف، مثل "جبرائيل دلال، وخليل غانم، وميخائيل عواد، ويوسف الحاج، والأمير أمين بن مجيد بن ملحم أرسلان الذين هاجروا إلى باريس، وأنطون فارس، وعقل بشعلاني اللذين هاجرا إلى مرسيليا، والدكتور لويس صابونجي الذي هاجر إلى لندن، ووديع كرم إلى طنجة، ويوسف باخوس إلى غلياري في صقلية، وسليم وبشارة تقلا، وأديب اسحق، وسليم وخليل نقاش، وروفائيل وعزيز زند، ورشيد شميل، وخليل زينيه، والشيخ نجيب الحداد، وعبده بدران، وطانيوس عبده، ويعقوب نوفل، ونجيب إبراهيم طراد، والشيخ شاهين الخازن، والشيخ نسيم العازار، وحنا جاويش، وسبع شميل، الذين هاجروا إلى الإسكندرية، وأنيس خلاط، والدكتور يعقوب صروف، والدكتور فارس نمر، وشاهين مكاريوس، والشيخ إبراهيم اليازجي، والشيخ خليل اليازجي، وسليم وفارس، وجرجي زيدان، والشيخ محمد رشيد رضا، ونقولا

توما، وأمين شميل، وأمين ناصيف، والدكتور شبلي شميل، وحبيب فارس، وديمتري نقولا، وسليم سركيس، ومحمد سلطاني، وإبراهيم سليم النجار، وأيوب عون، والدكتور أديب الزيات، والدكتور بشارة زلزل، ونجيب جاويش، وأمين شدياق، واسكندر شاهين، والشيخ يوسف الخازن، وفرح أنطون، ويوسف آصاف وسواهم".

هذا وقد هاجر العشرات من أدباء لبنان إلى أمريكا الشمالية والجنوبية، حيث أنشأوا الجرائد والمجلات، إضافة إلى مشاهير الكتبة والأدباء والشعراء الذين كانوا يساعدونهم في التحرير، وهم يعدون بالعشرات هرباً من الطغيان العثماني.

بعد هذه اللمحة، أرجو أن أوفق في كتابي هذا بإلقاء ضوء على ناحية هامة من الثقافة العربية وآدابها، ومجالات فنونها، ومراحل تطورها المختلفة عبر التاريخ، مُركّزاً في هذا الكتاب على المنتديات والروابط الأدبية وثقافة المهاجرين ليس في أستراليا فقط بل وفي بلاد المهجر الأولى بإيجاز، لما شكلته من حجر أساس لكافة ما صدر من إبداعات أدبية وثقافية عربية في بلاد المهجر، ومنها التي برزت في هذه الديار في مختلف المجالات الأدبية والثقافية والفنية.

ومن الجدير بالذكر أن القارئ سيلاحظ عدم توثيق جميع المصادر أو المراجع وفقاً للأصول اللازمة في هذا البحث، وذلك لعدم إثقال هوامش الكتاب بأسانيد عشرات المقتبسات التي ترد في ثنايا الكتاب.

مع التنويه بأن المعلومات التي أوردها في الكتاب إضافة لمعلوماتي، تتضمن عدداً من المصادر والمراجع العربية المذكورة في نهاية الكتاب، وما لم يرد ذكره ضمن المراجع وهي نتف وفقرات ومعلومات عامة أذكرها بين السطور في النص، مما متوفر لدي من كتب في مكتبتي أذكر منها: كتاب (تاريخ الصحافة العربية) لمؤلفه فيليب دي طرازي، و(الأدب والنصوص والبلاغة بين والنقد) الجزء الثاني تأليف عدد من الأساتذة وقد طبع في ليبيا عام ١٩٩٠، و(المنجد في اللغة والإعلام) إصدار بيروت عام ١٩٨٦، و(تاريخ آداب اللغة العربية) تأليف جرجي زيدان، طبعة دار الهلال في القاهرة عام ١٩١١، و(قصة الأدب المهجري) لمؤلفه محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثانية – دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٧٣. و(أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميريكية) لمؤلفه جورج صيدح، الطبعة الثالثة – دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٤. و(أدب المهجر) لمؤلفه عيسى إبراهيم الناعوري، الطبعة

الثالثة، دار المعارف بمصر ١٩٧٧. إضافة إلى معلومات انتقيتها من فقرات من مصادر منشورة في "ويكيبيديا الموسوعة الحرة" على شبكة الإنترنيت، و(الموسوعة العربية العالمية).

مع حفظ الألقاب وتقديري واحترامي لكل شخص يرد اسمه في هذا الكتاب دون لقب كشاعر أو روائي أو أديب وغير ذلك من ألقاب.

من هم العرب

"العرب هم أمة أقدم من اسمها الذي تعرف به اليوم، لأنها على أرجح أقوال المؤرخين للحضارات ونشوء البشرية، أرومة الجنس السامي التي تفرعت منها الأكدية والبابلية والآشورية والكلدانية والكنعانية وسائر الأمم السامية، التي سكنت ما بين النهرين وفلسطين وما يحيط بهما من بادية وحاضرة، وقد تتصل بهم الأمة الحبشية بصلة النسب القديم مع اختلاط بين الساميين والحاميين، فهذه الأمم كلها تتكلم بفرع واحد من فروع لغة واحدة هي أصل اللغات السامية، ويدل على ذلك اشتراك اللغة بفروعها في بنية الفعل الثلاثي الذي انفردت به بين لغات العالم بأسره، وتشابه الضمائر والمفردات وكثير من الجذور والمشتقات".(١)

أن مصطلح "سامية" كان أول من أطلقه بهذا المعنى، العالم الألماني النمساوي (أوغوست لودفيغ فون شلوتزر) (August Ludwig von Schlözer) (١٧٣٥ – ١٨٠٩) الذي صاغ مصطلح "الساميون" في عام ١٧٨١ لوصف اللغات المتشابهة، فشاع هذا المصطاح منذ ذلك الحين وأصبحت عند علماء الغرب علماً لهذه المجموعة من الشعوب، وسَرَت إلى المؤرخين العرب وباحثيهم بطريق الاقتباس والتقليد، على

الرغم من أن هذه التسمية لا تستند إلى واقع تاريخي أو إلى أسس علمية صحيحة أو وجهة نظر لغوية، لذلك يرى بعض الاختصاصيين وجوب تسمية هذه الأقوام بالأقوام العربية تشمل كل من سكن الجزيرة العربية وخرج منها، لأن العرب والساميين شيء واحد.

ويقول الأديب عباس محمود العقاد: "إن السومريين هم سكان بلاد ما بين النهرين الأقدمين الذين كانوا في الأرض العربية قبل عشرة آلاف سنة، ولم يصل إلينا قط خبر هجرتهم إلى مكان ما في الجزيرة العربية، بل ثبت على التحقيق أن الساميين هم الذين هجروا مواطنهم إلى بلاد ما بين النهرين حيث قامت العواصم التي تسمى بالأسماء السامية كمدينة بابل "باب الله" أو "باب إيل". (١)

وفي هذا الصدد يقول الدكتور احمد سوسة في كتابه (حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور): "والثابت من الآراء التي توصل إليها العلماء أن بلاد العرب هي مهد الحضارات البشرية القديمة، فقد كانت جزيرة العرب في العصور الحجرية غير ما هي عليه اليوم من الجدب الذي تسوده الصحارى القاحلة، إذ كانت تتمتع في هذه العصور بجو رطيب معتدل تكثر فيه الأمطار دائمة السقوط، وتجري فيها الأنهار

الدائمة المجرى من كل صوب، فازدهرت في جزيرة العرب أول حضارة معروفة في تاريخ العالم تعتمد في زراعتها على الري، وفي هذه الفترة انتقل سكان الجزيرة العربية من طور القنص والصيد إلى طور الفلاحة والزراعة التي تعتمد على الري. ثم حل عصر الجفاف في أعقاب العصر الجليدي الأخير فقامت الهجرات تتوالى من جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب، وكانت نتيجة هذا الجفاف أن نقل المهاجرون إلى مستوطناتهم الجديدة حضاراتهم النهرية معهم وأسسوا في وادي الرافدين أقدم وأعظم الإمبراطوريات مما عرفه تاريخ البشرية، أي الإمبراطوريات الساميات الأربع: (الأكدية والبابلية والآشورية والكلدانية) وكان ذلك في المرحلة الثانية من تطور حضارة العرب".

ويضيف: "أما المرحلة الثالثة فهي الحضارة القديمة التي حافظ عليها أهل اليمن الذين بقوا في أراضيهم في جنوبي جزيرة العرب بعد الجفاف، واستمروا يمارسون الزراعة على الري وأسسوا هناك ممالك عربية ذات حضارة راقية كمعين وقتبان وأوسان وسبأ وحضرموت وحمير، وكان أهم المخلفات التي حافظوا عليها وبقيت معهم هي لغتهم العربية الفصحى التي كانت مقدسة بين عرب الجزيرة قبل الإسلام"(٢).

و"يؤكد العديد من العلماء والباحثين أن العرب في جزيرتهم الأولى قد سكنوا أواسط العالم المعروف منذ أكثر من خمسة آلاف سنة على أقل تقدير، وأن كل ما استفاد الأوروبيون من هذه البقاع في هذه العصور هو تراث عربي أو تراث انتشر في العالم بعد امتزاج العرب بأبناء تلك البلاد وليس هذا التراث بقليل، لأنه يشتمل على كل أصل عريق عند الأوروبيين في شؤون العقل والروح وأسباب العمارة والحضارة، وفي العقائد السماوية وآداب الحياة والسلوك، وفنون التدوين والتعليم، وفي صناعات السلم والحرب وتبادل العلم والمعرفة".(١) كل تلك الحضارة بخلفياتها الثقافية المتعددة حملها معهم المهاجرون العرب في ترحالهم وزرعوها في أماكن تواجدهم.

العرب والعلوم

بما أن العلم والمعرفة من أجل البشرية والإنسانية فقد كان العرب سباقين في هذا الصدد، إذ أنه من الطبيعي أن يؤثرا وأن يتأثروا بحضارات وثقافات دول الجوار عبر التاريخ مثل اليونان والرومان والفرس والهند وغيرهم من الأمم الأخرى، مما خلق تنوعاً أدبياً عربياً كان له الأثر الكبير في بروز المواهب العربية في مختلف مجالات الأدب والفنون، كما في مجالات العلوم المختلفة في الفيزياء والكيمياء والصيدلة والطب وعلوم البحار وعلوم النبات والفلك وغيرها من العلوم المعرفية، حيث ظهرت مؤلفات عربية واسعة لا تزال حتى اليوم علامات بارزة في مسيرة الحضارة الإنسانية، التي كانت الأساس المتين الذي ارتفعت عليه الحضارة العالمية الحديثة.

من هنا أقول بأن العرب قد أثروا وتأثروا إيجاباً وسلباً بباقي شعوب العالم عبر الزمن والقرون السالفة ومنها آداب وثقافة تلك الشعوب، وذلك بحكم الطبيعة الجغرافية لبلاد العرب الممتدة بين المحيط الأطلسي والخليج العربي، ومركزها الوسطي بين القارات التي تعتبر من

أغنى المناطق بالثروات الطبيعية بين الغرب والشرق، تلك الأرض التي كانت ملتقى الأمم ومختلف الشعوب.

ومن أهم ما أخذه الغرب عن العرب كانت ولازالت الأرقام العربية ومنها (الصفر) مما سهل في دقة الحسابات، أما في مجال الأدب فقد أخذ أدباء الغرب عن العرب الكثير من أدبهم وعلومهم في كافة المجالات، كما أخذ العرب من الغرب بعض أنواع الأدب الحديث الذي بدأ مع بداية القرن العشرين وقد برز جلياً في أربعينيات القرن الماضي ولم يزل إلى يومنا هذا.

تعريف الفن

إذا سئلت عن تعريف الفن فأقول أنه رسالة رسولية سامية ومقدسة، تختمر في ضمير الإنسان، تنبع من كلمة أو لحناً أو رسماً، تخترق الروح لتتلاقى مع روح الآخر الذي يتمايل لمعناها، أو يُطرب لموسيقاها لأنها تبعث فيه الحنين والشجن، أو من لوحة فنية تثير إعجابه، أصدرت من شاعر أم قاص وروائي، أو ممثل مسرحي أو مُخرج، أو رسام أو صحافي أو مغني، وما إلى هنالك من مجالات تعبّر عن عوالم سامية، يبدع فيها الفنان بموهبته وينقلها بطريقته ليرتقي بمشاعر الإنسان إلى درجة عليا من الوعي، في أي مكان أو زمان.

وما تشهده البلاد العربية اليوم في مختلف مجالات الفن وبقية المجالات الثقافية إلا ما ندر، سوى دليل على أن مرحلة من الانحطاط تسود كافة مجالات الوعي بتاريخ وحضارة العرب نتيجة للغزو الثقافي والتغريب، والابتعاد عن روح الأمة وماضيها، لذلك أقول إن الأمم الراقية إنما تكون في قمة المجد، عندما يكون أدباؤها وشعراؤها وفنانوها، يقدمون عطاءاتهم وإبداعاتهم من أجل الرقي بالإنسان إلى مرحلة متقدمة من الوعي وحب الوطن، وهذا ما فعله أدباء النهضة

العربية الأوائل، إن في بلاد المهجر أو في الوطن الأم عبر التاريخ، ومنذ الاستعمار العثماني (التركي) ولاحقاً الفرنسي والبريطاني والإيطالي للبلدان العربية والأميركي حالياً، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر مع حفظ الألقاب: عبد الرحمن الكواكبي، وإبراهيم اليازجي، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، وأمين الريحاني، والإخوة فوزي وشفيق ورياض وعيسى اسكندر المعلوف، ورشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي، ومي زيادة، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب، وندرة حداد، وميشيل نعمان معلوف، وشكر الله الجر، وتوفيق قربان، واسكندر كرباج، ويوسف أسعد غانم، وفيليب لطف الله، ومريانا دعبول فاخوري، وعبد المسيح حداد، وإلياس قنصل، ونعمة الله الحاج، والياس فرحات وغيرهم الكثير، الذين شكلوا في بلاد المهجر نوادي وجمعيات وروابط أدبية وثقافية، مما يحتاج إلى صفحات لذكرهم وذكر أعمالهم.

"مدرسة المهجر"

من الثابت تاريخياً أن موجات من المهاجرين اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين حطت رحالها في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية على دفعات متتالية، هرباً من الاضطهاد الديني أو من تردي الأوضاع المعيشية في الدولة العثمانية، حيث بدأ آلاف المهاجرين العرب من بلاد الشام مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، رحلتهم الطويلة إلى بلاد المهجر، لأسباب اقتصادية وسياسية في المقام الأول إضافة إلى الاضطهاد الديني، لأن بلاد الشام كانت ولاية عثمانية، تتعرض لما تتعرض له الولايات العربية الأخرى من جور تحت نير الحكم العثماني، ومن تعسّف الحكّام وسوء الإدارة، وأما من كانوا يعارضون سياسة التتريك العثمانية، ويجاهدون للإبقاء على الهوية العربية، فكان نصيبهم الاضطهاد والمعتقلات.

وقد ازدادت الأوضاع السياسية سوءاً عندما قرَّرت الدول الأوروبية الكبرى مواجهة الدولة العثمانية، واقتسام أملاكها شيئاً فشيئاً، فانحازت كل فرقة أو طائفة في الولايات العثمانية إلى دولة أوروبية على حساب

أمن بلاد الشام واستقرارها، فاشتعلت الفتن الطائفية والدينية وحدثت مذابح كثيرة في البلدان العربية وأكبرها تأثيراً كانت مذبحة ١٨٦٠ في جبل لبنان التي انتقلت إلى سوريا، حيث ساءت الأحوال الاقتصادية في تلك البلاد، وهلكت المحاصيل الزراعية بالأوبئة والحشرات، إضافة إلى ارتفاع الضرائب التي فرضها الولاة العثمانيون، إضافة إلى استيلائهم على المحاصيل الزارعية ونهبها من أراضي المزراعين، مما دفع أعداداً كبيرة من السكان إلى هجرة بلادهم، وكانت أبصارهم تتطلع إلى الغرب وبخاصة إلى الأميركيتين الشمالية والجنوبية، التي سمعوا عنها وعما تتمتع به من ثراء وحرية، من خلال البعثات الأجنبية والمبعوثين وجمعيات التنصير ومدارسهم التي تعلم فيها عدد منهم، أو من خلال ما كانوا يطلعون عليه من الصحف والمجلات الأجنبية من السفارات العاملة آنذاك في العواصم العربية، أو من الرسائل والمقالات التي كانت تُنشر في بعض المجلات والصحف التي تصدر في مصر أو لبنان التي كانت تنشر آراء وتحليلات عن الحياة والعيش في الأمريكيتين، إضافة إلى ما كان يرسله بعض المهاجرين الأوائل من البرازيل والأرجنتين والمكسيك وكولومبيا والإكوادور إلى ذويهم، وما كانوا يرونه من عمارة بيوت مغطاة بالقرميد الأحمر في جبل لبنان،

حيث يذكر في هذا الصدد الدكتور فيليب حتي في كتابه (تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر)، ترجمة الدكتور أنيس فريحة، طبعة دار الثقافة – بيروت، صفحة ٥٧٧، "غير أن الحظ ابتسم للمهاجرين في القارة الأمريكية، فأن بعض المهاجرين اللبنانيين اكتشفوا في أواخر العقد السابع من القرن التاسع عشر أمريكا الشمالية. وكان قد سبقهم بعض المهاجرين إلى شواطىء الأطلسي. غير أن الهجرة اللبنانية لم تتخذ شكلاً خطيراً إلا في أوائل العقد التاسع من القرن التاسع عشر. وفي السنوات الواقعة بيم ١٩٠٠ و١٩١٤ انخفض عدد سكان الجبل عن طريق الهجرة إلى زوايا الأرض الأربع بمعدل خمس وعشرين بالمئة، أي مئة ألف نسمة. وقل أن ترى الآن بلدة أو قرية من قرى لبنان البالغ عددها ١٦٠٠ قرية ليس فيها بيت مسقوف بالقرميد الأحمر. والشائع في القرى اللبنانية، أن صاحب البيت المسقوف بالقرميد الأحمر يجب أن يكون قد جمع ثروة في أمريكا". هذا ما شجعهم على الهجرة عن بلادهم وأهليهم، علهم يطمئنون على أرواحهم وأنفسهم ويصيبون شيئاً من الثراء في جو يسوده الأمان والحرية والرخاء.

وقد انقسمت قوافل المهاجرين الأوائل على قسمين، قسم قصد الولايات المتحدة الأمريكية واستقر في الولايات الشرقية والشمالية الشرقية منها، وتوجه القسم الآخر إلى أمريكا الجنوبية وبخاصة البرازيل والأرجنتين والمكسيك، في البداية وجد المهاجرون عناءً وتعباً، فلم يكن الحصول على لقمة العيش سهلاً، كما ظنوه وكما زُيّن لهم، حيث كان كل المهاجرين يشقون في المزارع والمصانع، ويكدون في التجارة ويكدحون في جمع الرزق، ويعملون ليل نهار في المدن والأرياف ويحملون بضائعهم على أكتافهم كباعة متجولين أو ما كان يُعرف ببائع "الكشة"، وانطلاقاً من "الكشة" التي كانوا يحملونها على ظهورهم فإنهم فتحوا دكاكين صغيرة تحولت لاحقاً إلى محال تجارية، وبعضهم عمل في المصانع، ورغم ذلك فقد وجد الشعراء في بيئتهم الجديدة من الحرية ما ساعدهم على ممارسة إبداعهم الأدبي، بسبب شعورهم بالغربة وحنينهم إلى الوطن البعيد، وخوفهم على لغتهم وهويتهم العربية من الضياع، في مجتمعات يبدو كل شيء فيها غريباً عنهم، ما جعلهم يلتفون حول بعضهم بعضاً، مما دفعهم إلى تأسيس الجمعيات والأندية، يلتقون فيها ويمارسون من خلالها أنشطتهم الفكرية والثقافية، إضافة إلى تأسيس الصحف والمجلات، وقد ظهر من بينهم الشعراء والأدباء الذين نشأت

بهم مدرسة عربية أدبية مهمة هناك، سميت بـ"مدرسة المهجر"، أسهمت مساهمة كبيرة في نهضة الأدب العربي الحديث، وقد انقسمت مدرسة المهجر على مدرستين هما:

"الرابطة القلمية"



أسسها نخبة من الأدباء من أنصار التجديد في الأدب العربي، لبنانيين وسوريين في أمريكا الشمالية في نيويورك (١٩٢٠)، ترأسها جبران خليل جبران، وضمّت مع حفظ الألقاب إلى جانب جبران كلاً من الأدباء: ميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، وندرة حداد، وعبد المسيح حداد، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب، ووليم كاتسفليس، ووديع باحوط، وإيليا عطاء الله. وكان هدف الرابطة تعزيز اللغة العربية وآدابها، فكانت ثورة على الجمود وعلى التقليد، وصيحة أدبية وصل دويها إلى الشرق

العربي. كان هدف الرابطة القلمية هو بث روح التجديد في الأدب العربي شعراً ونثراً، وتعميق صلة الأدب بالحياة وجعل التجربة الكتابية تنفتح على آفاق أوسع مما كانت تدور حول فلكه من النماذج القديمة في الأدب العربي، كما اهتمت الرابطة بنشر الصحف العربية في بلاد المهجر مثل مجلة (الفنون) التي كانت تُعنى بالأدب، أسسها نسيب عريضة في مدينة نيويورك عام ١٩١٣ وشارك في تحريرها ميخائيل نعيمة، وأسهم جبران خليل جبران في النشر فيها، ومجلة (السمير) التي أسسها الشاعر إيليا أبو ماضي في عام ١٩٢٩، وكانت مجلة أدبية وعلمية تصدر مرتين في الشهر، ونشر فيها العديد من أدباء المهجر، وقد استمرت في الصدور حتى وفاة الشاعر عام ١٩٥٧، وجريدة (السائح) أسسها عبد المسيح حداد في مدينة نيويورك عام ١٩١٢ وتوقفت عن الصدور عام ١٩٥٧، وفيها نشرت الآثار الأدبية والفكرية وقصائد شعراء المهجر في الولايات المتحدة الأمريكية مثل: (أمين الريحاني، جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي) وكانت (السائح) الناطق الرسمي باسم الرابطة القلمية.

كتب دستور الرابطة ميخائيل نعيمة، الذي أعلن فيه عن مبادئها التي من أهمها التجديد في الشعر العربي دون إحداث القطيعة مع التراث، وغاية الرابطة "بث روح نشيطة في جسم الأدب العربي والخروج بأدبنا من دور الجمود والتقليد، إلى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعاني، وليس قصد التجديد قطع الصلة بالأقدمين الذين من بينهم من ستبقى آثارهم مصدر إلهام الكثيرين غداً وبعد غد".

لقد حقق أدباء الرابطة القلمية الكثير من أهدافهم، ومما ساعدهم على ذلك ما كان يجمع بين أعضائها من تآلف وتشابه في الميول والاهتمامات، إضافة إلى المناخ الحر الذي كانوا يتنفسون أريجه، وما كان يعج به من أحدث التيارات الفكرية والاتجاهات الأدبية آنذاك.

وتميز النتاج الأدبي لأعضاء هذه الرابطة بالتأمّل في الحياة وأسرار الوجود، والتعمّق في النفس البشرية والذات الإنسانية، وبث روح التسامح الديني، وقد حفل شعر أدباء المهجر بشكل عام بألوان من النقد الاجتماعي بطابع إنساني، لأن الإنسان هو ابن المجتمع، وهو مصلحه ومصدر خيره وشره، والدعوة إلى قيم الحب والجمال والخير، وأن تنتشر بين الناس المبادئ السامية المبنية على القيم والأخلاق

وعلى المحبة بين الناس، وتهذيب نوازع النفس الشريرة، لذلك كانت دعواتهم إلى المساواة ونبذ الكبر والأنانية، وإلى إقامة العدل في الوطن حتى تسود المحبة والوئام بين الناس.

ومن سمات ومميزات شعر أدباء الرابطة القلمية، استخدام اللغة العربية السهلة والبسيطة، والتجديد في الأساليب الشعرية، واستعمال الرمزية في أشعارهم، وقد استمر نشاطها الأدبي حوالى عشرة أعوام، إلى أن توقف نشاط الرابطة بوفاة جبران عام ١٩٣١ وتَفَرُّقِ أعضاؤها.

"العصبة الأندلسية"



لا تختلف أهداف إنشاء "العصبة الأندلسية" عن أهداف "الرابطة القلمية" كثيراً، فهناك رغبة مشتركة في الحفاظ على اللغة العربية، وبث روح

التآخي والتآزر بين الأدباء في المهجر، وجمع شملهم، ورعايتهم، وتسهيل نشر إنتاجهم في المجلة أو من خلال المجموعات والدواوين الشعرية، وإقامة جسر حي بين هذا الأدب ونظيره في الوطن العربي الكبير آنذاك، خصوصاً بعد توقف نشاط الرابطة القلمية.

تأسست هذه العصبة في كانون الثاني/يناير عام ١٩٣٣ في ساو باولو بالبرازيل، ولعل السبب في هذه التسمية هو الجو الإسباني الذي يطبع الحياة العامة في أمريكا الجنوبية، وكأنه قد أثار كَوَامنَ الشجن في نفوس هؤلاء المهاجرين وأعادهم إلى ذكريات العرب أيام مجدهم بالأندلس. تبنَّى الشاعر شكر الله الجرّ فكرة التأسيس، فاجتمع عدد من الشعراء والمهتمين بالأدب والثقافة العربية في منزل ميشيل نعمان المعلوف لهذا الغرض، ومن أعضائها مع حفظ الألقاب: شكر الله الجر، وميشيل المعلوف، ونظير زيتون، وحبيب مسعود، ونصر سمعان، وداود شكور، ويوسف البعيني، زحسني غراب، ويوسف أسعد غانم، وأنطون سليم سعد، وفوزي المعلوف، ورشيد سليم الخوري، وشفيق المعلوف، والياس فرحات، وعقل الجر، وجرجس كرم، ووفيق قربان، واسكندر كرباج، ومهدي سكافي، وتوفيق ضعون، وقيصر سليم

الخوري، وميشال المغربي، وسلمى بنت جبران الصائغ، وجورج حسون معلوف، وموسى حداد، ونعمة قازان، وأنيس الراسي، ورياض المعلوف، وجورج انطون كفوري، وجورج ليان، وموسى كريم، والياس طعمة، وجورج صيدح، وعمر عبيد، ويارا الشلهوب، ومحمود الشريف. وتولى رئاستها كل من ميشال معلوف والشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) وشفيق معلوف تباعاً حتى سنة ١٩٥٣، وكان داود شكور نائباً للرئيس، ونظير زيتون أميناً للسر، ويوسف البعيني أميناً للصندوق، وجورج حسون معلوف خطيباً. وقد اهتمت هذه الجماعة من الأدباء والشعراء بتنظيم الأمسيات الشعرية، وتبادل الأعمال الأدبية، وظل أعضاؤها ينشرون إنتاجهم الأدبي في مجلة "الأندلس الجديدة" لصاحبها شكر الله الجر لمدة عام، ثم صدر العدد الأول من مجلة "العصبة الأندلسية" عام ١٩٣٤، وتولى حبيب مسعود رئاسة تحريرها، وقد احتجبت هذه المجلة عن الصدور عام ١٩٥٣، تخللها فترة انقطاع من عام ١٩٤١ إلى عام ١٩٤٧، واهتم روّاد هذه الحركة الأدبية باستعمال القلم في النّضال من أجل أوطانهم، كما حملوا همّ اللغة العربية وإعادة أمجاد الشعر العربي في بلاد ما وراء البحار.

بعض النوادي والروابط والجمعيات الأدبية الأخرى

(النادي الفينيقي): تأسس النادي الفينيقي كجمعية أدبية في البرازيل من مجموعة أدباء مُهاجرين لبنانيين وسوريين، بمبادرة من الأديب اللبناني عقل الجر الذي شارك في تأسيس (العصبة الأندلسية)، بهدف جمع شمل أدباء ومفكري المهجر في الأميركيتين، وضمت الجمعية ميشال نعمان معلوف (أول رئيس للعصبة الأندلسية) وشكر الله الجر. وكان النادي من بين أول النوادي والجمعيات الأدبية التي تعنى بمجال الفن والأدب والصحافة في المهجر الأمريكي (أمريكا الشمالية والجنوبية).

(ندوة رواق المعري – البرازيل): أسسها قيصر المعلوف، الذي أصدر سنة ١٨٩٨، أول جريدة عربية في ساو باولو، حملت اسم "رواق المعري" ومنها ظهرت رابطة أدبية في تلك المدينة عرفت بـ(ندوة رواق المعري) سنة ١٩٠٠، وفي سنة ١٩٠٤ صدر ديوان (تذكار المهجر) برعاية "رواق المعري" في البرازيل، وضمت الندوة إضافة إلى قيصر المعلوف: جورج عساف، ونعوم اللبكي، وخليل كسيب، ويوسف ناصيف، وضاهر وفارس نجم، وأنيس بواكيم الراسي، ووديع فرج،

وأسعد بشارة، واسطفان الغلبوني، وقد واستمر نشاط هذه الندوة حتى أوائل الحرب العالمية الأولى.

(الرابطة الأدبية – الأرجنتين): تأسست في بوينس إيرس عاصمة الأرجنتين عام ١٩٤٩ برئاسة جورج صيدح وعضوية جورج عساف، وسيف الدين رحال، والياس وإبراهيم وزكي قنصل، وجبران مسوح، وحسني عبد الملك، ويوسف الصارمي، وعبد اللطيف الخشن، ويوسف الغريب، وجورج صوايا، وملاتيوس صوتي، وجرجس كرم، توقفت بعد عامين من نشاطها إثر عودة جورج صيدح إلى لبنان.

(عصبة الأدب العربي – البرازيل): ضمَّت فارس بطرس، ونواف حردان، وشكيب تقي الدين، وشفيق عبد الخالق، ونبيه سلامة، وأحمد القادري، وخليل العقدي، ويوسف المسمار.

(رابطة منيرفا – نيويورك) وهي رابطة أدبية على غرار "جماعة أبولو"، (منيرفا هي إلهة العقل والحكمة وربة جميع المهارات والفنون والحرف اليدوية عند قدماء الرومان)، ضمت هذه الرابطة أدباء وشعراء عرب وأميركيين. ومع مع حفظ الألقاب فقد أسسها الشاعر المصري الدكتور أحمد زكي أبو شادي عام ١٩٤٨ في نيويورك، وكان رئيسها، ونائبه

عبد المسيح حداد، وصفية أبو شادي، ونعمة الله الحاج، ويوسف الصارمي، وعبد اللطيف الخشن، وزكي قنصل. كانت تواصل عقد لقاءات شهرية تعنى بالأدب شعراً ونثراً، وانفضت الرابطة بوفاة مؤسسها أحمد زكي أبو شادي يوم ١٢ أبريل/نيسان ١٩٥٥ في العاصمة الأمريكية واشنطن.

(جامعة القلم) وهي جمعية أدبية تأسست في البرازيل عام ١٩٦٥، قامت على أنقاض "العصبة الأندلسية"، ترأسها في البداية يوسف فاخوري، ثم خلفه فيليب لطف الله، وضمت معظم حملة الأقلام العربية في ساو باولو، ومن أعضائها داود جرجس الخوري ونبيه سلامة، ومريانا دعبول صاحبة مجلة "المراحل" التي كانت تصدر قبل تأسيس هذه الجامعة الأدبية، وتعاونت مع "ندوة الأدب العربي" في الأرجنتين.

(ندوة الأدب العربي – الأرجنتين) التي قامت على أنقاض جامعة القلم، ومن روادها جواد نادر.

(نادي الرابطة الوطنية السورية – ساوباولو)، (نادي جمعية الشبيبة العربية الفلسطينية – ساوباولو)، (النادي الحمصي تأسس عام

١٩٢٠ – ساوباولو)، (النادي الرياضي السوري – ساوباولو)، (النادي العربي في بوينس أيرس – الأرجنتين).

ومما يجدر ذكره أن الكثير من الشعراء والأدباء المهاجرين في الأميركيتين الشمالية والجنوبية لم ينتسبوا إلى تلك الروابط والنوادي الأدبية، ومنذ منتصف القرن الماضي توقفت نشاطات وأعمال هذه الروابط والنوادي والجمعيات الأدبية إما بالوفاة وإمَّا بالعودة إلى الوطن.

وأياً كان الحال، فإن الأدب العربي في المهجر الشمالي والجنوبي، بتراثه، واتساع آفاقه، تفرد بتجربته وظروف مُبْدِعِيهِ، يظل جزءاً مهمّاً وفاعلاً في دائرة الإبداع الأدبي المعاصر، الذي أسهم إسهاماً كبيراً في حركة تطوير وتجديد الأدب العربي. مع التذكير أنه في النصف الثاني من القرن العشرين الماضي قامت عشرات الجمعيات والنوادي والجماعات الأدبية من بيروت إلى دمشق وبغداد، ومن القاهرة إلى صنعاء والدار البيضاء، وأن هذه الجمعيات التي ضمت أدباء متعددي الاتجاهات الفكرية والمشارب الأدبية والسياسية، قد أدت أدواراً بالغة الأهمية في نهضة الأدب العربي الحديث.

"الرابطة الأدبيّة في دمشق"

في عام ١٩٢١ ظهرت في سوريا رابطة أدبية حملت اسم (الرابطة الأدبية في دمشق) التي تأسست في بداية الانتداب الفرنسي، وكانت منصة ثقافية مهمة للمثقفين والأدباء في دمشق في تلك الفترة.

وفي هذا الصدد يذكر الأديب والمترجم السوري عيسى جرجس فتوح في دراسة له نشرت في مجلة (الموقف الأدبي) التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد ٦٢ حزيران ١٩٧٦ بعنوان (الرابطة الأدبيّة في دمشق (جمعية ومجَلة) ١٩٢١ – ١٩٢٢): "شعر فريق من أدباء دمشق في آذار/مارس سنة ١٩٢١ بحاجة الأدب العربي إلى نهضة توقظه من سباته العميق، وتبث فيه روح النشاط والحيوية، ورأوا أن كل مجهود يبذله الأفراد متفرقين هو مجهود ضائع لا يأتي بالثمرة المرجوة، فصمموا على إنشاء جمعية أدبية تلم شملهم، وتوحد قواهم، فتم لهم ذلك، وعقدوا أول اجتماع تمهيدي لهذا الغرض في الرابع من شهر آذار/مارس سنة ١٩٢١، حضره جمهور من الأدباء، واستقر رأيهم على تأليف جمعية تعمل على خدمة الأدب تسمى (جمعية الرابطة الأدبية) وانتخبوا سبعة منهم للجنة التأسيسية وهم: إبراهيم حلمي، وإبراهيم دادا،

وحليم دموس، وخليل مردم بك، وعبد الله النجار، وفخري البارودي، ونجيب الريس".

ويضيف: "وشرعوا في انتخاب اللجان التي نص القانون على وجودها وهي:

١ – اللجنة الإدارية:

تألفت من: خليل مردم بك (رئيساً)، وإبراهيم دادا (نائباً للرئيس)، وحيدر مردم بك (خازناً)، وزكي الخطيب (كاتباً داخلياً)، وعبد الله النجار (كاتباً خارجياً).

٢ – لجنة التأليف والترجمة والنشر:

تألفت من: شفيق جبري، وحبيب كحالة، وحليم دموس، وعز الدين علم الدين (التنوخي)، وسليم الجندي، ونسيب شهاب، وجورج الريس.

٣ – لجنة النقد:

تألفت من: الآنسة ماري عجمي، ومحمد الشريقي، والشماس أبيفانيوس زائد (مطران عكار وتوابعها حالياً)، وقبلان الرياشي، ويوسف حيدر.

٤ – لجنة إنشاء المجلة:

ولما عزمت الجمعية على إصدار مجلة تكون لسان حالها، رأت أن تنتخب لجنة خاصة لإنشائها، فنال أكثرية الأصوات كل من الإخوان: خليل مردم بك، ومحمد الشريقي، وحليم دموس، وعز الدين التنوخي، ززكي الخطيب، زنسيب شهاب، وأحمد شاكر الكرمي (صاحب مجلة الميزان)".

"كان من أهداف الجمعية عقد صلة التعارف بينها وبين الأدباء في جميع الأقطار العربية والمهاجر، وتوحيد قواهم المتفرقة، وتنظيم صفوفهم، ليتسنى لهم الفوز في معترك الحياة الأدبية الذي كاد يستظهر فيه الأدعياء، وينتصر المبطلون، إضافة إلى طبع الكتب الأدبية، وإكرام المجيدين من الأدباء، وإقامة الحفلات التكريمية". وقد صدر عن الرابطة (مجلة الرابطة الأدبية) التي صدر العدد الأول منها في مطلع أيلول/سبتمبر سنة ١٩٢١، وكانت صفحات كل عدد أربعاً وستين صفحة. وكان للرابطة تواصل أدبي وثقافي مع (الرابطة القلمية) في نيويورك ورسائل متبادلة بين مستشارها ميخائيل نعيمة وبين رئيس (الرابطة الأدبيّة في دمشق) المرحوم خليل مردم بك. وكان تاريخ ٢٥

آذار/مارس ١٩٢٢ آخر جلسات الرابطة التي درجت منذ تأسيسها على عقد اجتماع عام كل أسبوع، يحضره جميع الأعضاء العاملين، وأعلنت حلها في آب/أغسطس ١٩٢٢.

"جماعة أبولو"



مؤسسها ورئيسها الشاعر أحمد زكي أبو شادي الذي ولد عام ١٨٩٢ في القاهرة، وهي إحدى المدارس الأدبية في الأدب العربي الحديث. تأسست عام ١٩٣٢، تهدف إلى نشر روح من التآخي والتآلف بين الشعراء رغم اختلاف مفاهيمهم الفنية وقدراتهم الإبداعية، وكان من أهدافها: الدعوة إلى تحرير الأدب والشعر من قيود القصيدة المألوفة شكلاً ومضموناً، والتحرر الاجتماعي، وتحرير المرأة وفتح كل السبل

التي تتيح لها في الإسهام في الحياة الأدبية والاجتماعية، وتحرير العقول، إضافة لاعتنائها بترجمات لشعراء أوروبيين، ونشر القصص الشعرية والمطولات الفلسفية، وقد حمل الشاعر أحمد زكي أبو شادي أعباء مسؤولية ذلك مع أقرانه من الشعراء الشباب آنذاك، شعراء الوجدان في مصر والوطن العربي. ومن روادها: إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وأبو القاسم الشابي ومحمد عبد المعطي الهمشري، وصالح جودت، وعلي العناني، وكامل كيلاني، ومختار الوكيل، ومحمود عماد، وجميلة العلايلي، وصلاح أحمد إبراهيم، وعبد الحميد ديب، ومحمد عبد الغني حسن. وقد أصدر أحمد زكي أبو شادي مجلة (أبولو) عام ١٩٣٢ في مصر، و(أبولو) هو اسم إله النور والفن والجمال عند اليونان، هكذا تشكلت جماعة (أبولو).

وفي عام ١٩٤٦ هاجر إلى الولايات المتحدة وكتب في بعض صحفها العربية، توفي الشاعر أحمد زكي أبو شادي يوم ١٢ أبريل/نيسان ١٩٥٥ في العاصمة الأمريكية واشنطن.

"عصبة العشرة – لبنان"

في عام ١٩٣٠، شارك إلياس أبو شبكة مع ميشال أبو شهلا وخليل تقي الدين وفؤاد حبيش في تأسيس منتدى أدبي أطلق عليه اسم (عصبة العشرة) التي ضمت في البداية عشر شخصيات أدبية وفنية. بالإضافة إلى الأعضاء المؤسسين الأربعة، كرم علي ملحم كرم، ويوسف إبراهيم يزبك، وتقي الدين الصلح، وتوفيق يوسف عواد، وعبد الله لحود، وميشيل أسمر.

كان هدف العصبة هو تشجيع التجديد الأدبي وتحديث الأدب العربي. وقال إلياس أبو شبكة في ذلك: (أَربعةٌ لكنهم عند الحساب عَشَرَهْ ... إِذا أَهابوا بالدجى ... أَرخى عليهم قَمَرَهْ).

كان الشيخ خليل تقي الدين آخر من بقي من العصبة بعد وفاة ثلاثة منهم، الذي أجاب عندما سُئِل عن إلياس أبو شبكة: "بين أصدقائي الذين كان لهم عليّ تأثير كبير ولا أنساهم: ميشال أبو شهلا، إلياس أبو شبكة، وفؤاد حبيش، ثلاثتهم فقدتهم اليوم كما فقدهم الأدب في لبنان وفي ديار العرب، يوم توفي أخيرهم، فؤاد حبيش، قلت في رثائه: ذهب

الثلاثة وبقيت أنا. فمتى دوري؟، ذلك أننا، نحن الأربعة، كنا نؤلف عصبة العشرة".

الصالونات الأدبية

ظاهرة الصالون الأدبي في الشرق العربي قديمة، فسوق عكاظ قبل أكثر من ١٥٠٠ سنة كان صالوناً أدبياً سنوياً مفتوحاً لكل الناس، ومجلس سكينة بنت الحسين بن علي قبل ١٤٠٠ عام في المدينة المنورة كان يشبه صالوناً أدبيا للشعر، ومجالس الخلفاء والأمراء كانت صالونات أدبية، أشهرها مجلس ولادة بنت الخليفة المستكفي في الأندلس قبل ١٠٠٠ عام، ومجالس الأصمعي وهارون الرشيد والمأمون. لكن الظاهرة بشكلها الحديث انتشرت في القرنين التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، في كبريات مدن مصر وسوريا والعراق، ورافقت الصراع والحراك السياسي والفكري العميق الذي كانت تشهده المنطقة في ذلك الوقت.

في الصالون الأدبي، يلتقي أدباء وشعراء ومفكرون ومثقفون، وفنانون وكتّاب ورجال دين، في موعد أسبوعي أو نصف شهري، أو شهري، لتدارس القضايا الأدبية، والفنية والسياسية والاجتماعية، التي تهم المجتمع ونخبه الثقافية والسياسية، ولعرض الحاضرين لإنتاجهم الأدبي والفني والعلمي.

ويسمى الصالون باسم الداعي، أو صاحب المنزل، أو المجلس، وهو في العادة رجل أو امرأة، ممن يجمعون الثقافة والعلم والأدب.

وكانت الصالونات مفتوحة بلا تقيُّد بموضوع أو جدول محدد، بمعنى أن المسائل التي يتم تناولها قد تكون بنت ساعتها، وتكون ساعات الصالون كلها مستغرقة في إجابة سؤال واحد، تتناول موضوعات فكرية وفلسفة وأدب وشعر وتاريخ وسياسة ونقد ومناقشة كتاب، ويكون النقاش فيها حراً ومفتوحاً دون قيد.

إضافة إلى صالونات كثيرة أخرى تهتم بالشعر وبقية الأجناس الأدبية الآخرى، والاهتمام بالشعراء الشباب وتشجيعهم، إلى جانب الاهتمام بشعر الفصحى وشعر العامية. وكان يحضر هذه الصالونات أعداد كبيرة ليس من البلد الذي يقام فيه الصالون بل ومن مدن وبلدان أخرى.

أذكر منها بعض الصالونات التي اشتهرت عبر التاريخ:

(صالون أو مجلس ولادة بنت المستكفي) كانت من جميلات العرب، وكانت أشعارها تفوق جميع من يرد مجلسها، الذي تهافت عليه كبراء الشعراء والأدباء، وكانت تجلس فيه لهؤلاء، وتحاضرهم وتحاورهم

وتجادلهم، فقد كان مجلسها منبراً أدبياً يجمع الشعراء، مما يدل على مكانتها كشاعرة وأميرة أندلسية. وممن حضر مجلسها: أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي القرشي المعروف بابن زيدون الذي عُرف بحبه لولادة بنت المستكفي التي بادلته الحب، كان وزيراً وكاتباً وشاعراً. والوزير أبو عامر بن عبدوس وكان يلقب بـ"الفأر" ويعشق ولادة، وكان مختالاً وفاسد السريرة، فعمل مكيدة أدت إلى حبس ابن زيدون، مما أدى إلى فراق ولادة عن ابن زيدون، وتذكر كتب التاريخ الأدبي والشعري عدة أسباب أدت لفراق ولادة وابن زيدون.

(صالون الأديبة الحلبية مريانا مراش) (١٨٤٨-١٩١٩) كانت صاحبة أول صالون أدبي عربي في نهايات القرن التاسع عشر. تلاها الوجيه الحلبي صالح آغا الكيخيا (١٨٥٢-١٩١٦) الذي كان منزله مجمعاً للعلماء والأدباء".

ومن الصالونات الأدبية التي أثرت في الحركة الأدبية والثقافية في سوريا في تلك الحقبة جرى تأسيسها على أيدي سيدات سوريات، منها: **صالون ماري عجمي** (١٨٨٨-١٩٦٥) صاحبة أول مجلة نسائية في سوريا وهي "العروس"، التي استضافت في منزلها بدمشق وجوها أدبية

بارزة من أمثال خليل مردم بك، وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، وفخري البارودي، وحبيب كحالة، وشفيق جبري، وغيرهم.

وكذلك أسست السيدة زهراء اليوسف عقيلة محمد علي بك العابد، أول رئيس للجمهورية السورية بين ١١ حزيران/يونيو ١٩٣٢ و٢١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦، صالوناً في منزلها في دمشق في نهاية الثلاثينيات. كما أقامت الأديبة والمربية السيدة ثريا الحافظ (١٩١١-٢٠٠٠)، التي اضطلعت بدور محوري في قيادة الحركة النسائية السورية في الخمسينيات، صالوناً أدبياً أطلقت عليه اسم **(سكينة بنت الحسين)** التي ضيَّفت في صالونها أسماء مهمة في الأدب النسائي العربي، مثل الشاعرة العراقية نازك الملائكة، والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان.

(صالون نازلي فاضل) في القاهرة في بداية القرن العشرين، وممن كان يقصد هذا الصالون: الشيخ محمد عبده، وقاسم أمين، وسعد زغلول، وولي الدين يكن، وسليم سركيس. وكان أغلب ما يثار في هذا الصالون: موضوعات دينية، وسياسية، واجتماعية.

(صالون مي زيادة) (١٨٨٩ – ١٩٣١) أو صالون الثلاثاء لأنه كان يعقد كل يوم ثلاثاء، وقد استمر هذا الصالون الأدبي عشرين عاماً، من عام ١٩١١ حتى سنة ١٩٣١. ومن رواد صالون مي زيادة: مصطفى عبد الرازق، وعباس محمود العقاد وأحمد لطفي السيد، وعبد العزيز فهمي، وأحمد شوقي، وولي الدين يكن، وإسماعيل صبري، وخليل مطران، ومصطفى صادق الرافعي، وأنطون الجميل، وغيرهم. وتمضي السنين لنكتشف من خلال كتاب (الشعلة الزرقاء – رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة – للأديبة سلمى الحفار الكزبري) أن قلبها لم يتسع إلا لواحد فقط هو "جبران خليل جبران" (١٨٨٣ – ١٩٣١) رئيس الرابطة القلمية في المهجر الشمالي، ولم ير أحدهما الآخر، فقد تحابا بالمراسلة، وتواصلت بينهما الرسائل تحمل قطعاً رفيعة من الأدب، وشحنات متوهجة من الحب الرومانسي.

(صالون عباس محمود العقاد) (١٨٨٩ – ١٩٦٤) كان صالون العقاد مصدراً من مصادر العطاء على مدى عقدين من الزمان. فقد كان يعقد صباح كل جمعة، ويمتد لعدة ساعات في مسكنه بمصر الجديدة. ويحضره كثير من الشخصيات العربية، ومن رواد هذا

الصالون محمد خليفة التونسي، وأحمد إبراهيم الشريف، ومحمد طاهر الجبلاوي، وعبد الفتاح الديدي، وأنيس منصور، وأحمد حمدي إمام، وعبد الحي دياب، وطاهر الطناحي، وعبد الرحمن صدقي، ونظمي لوقا، وصوفي عبد الله، والعوضي الوكيل وغيرهم.

وحالياً في الأردن يوجد صالون الشاعرة الفلسطينية مريم خليل الصيفي الذي يعقد كل يوم ثلاثاء، وقد شاركت فيه عدة مرات.

وهناك أيضاً صالونات في السعودية ودول الخليج العربي تنشط في مجالات الشعر والأدب والثقافة.

الصالونات الأدبية في لبنان

شهدت الخمسينيات من القرن العشرين ولادة صالونات أدبية في لبنان أذكر منها:

(صالون حبوبة حداد) استمر من العام ١٨٩٧ إلى العام ١٩٥٧. كان يؤمه: أمين تقي الدين، والشاعر شبلي الملاط، ورامز سركيس، وجبرائيل نصار، وأسعد عقل، وجبران تويني، والشاعر أمين نخلة، والأديب أمين الريحاني، والكاتب المسرحي طانيوس عبده، والمؤرخ يوسف ابراهيم يزبك، وميشال زكور منشئ جريدة "المعرض" عام١٩٢١، والأديب والمؤرخ داود بركات، والأديب الشاعر فيلكس فارس، والشاعر الياس أبو شبكة، والشاعر معروف الرصافي، والشاعر أحمد شوقي، وسامي الكيالي، وعلي ناصر الدين، وصبحي بك بركات، وجميل مردم، وصلاح بيهم، وسلمى صائغ، وماري يني، الأميرة نجلاء أبي المع، وجوليا طعمة.

صالون (جوليا طعمة دمشقية) (١٨٨٣ – ١٩٥٤) هي رائدة من رواد التربية والاجتماع والصحافة في لبنان، كان منزلها منتدى لكبار الأدباء والشعراء، أنشأت صالونها الأدبي عام ١٩١٧.

صالون مجلة "شعر" الذي غُرف بـ(صالون الخميس) ١٩٥٧-١٩٥٩، ومن أركانه: يوسف الخال، وعلي احمد سعيد اسبر (المعروف باسمه المستعار "أدونيس")، وشوقي أبي شقرا، وفؤاد رفقا، وأنسي الحاج.

المدارس الشعرية ألونها وظروف نشأتها

ورد في عشرات المراجع تعريفات متشابهة أوجزها بما يلي:

"مدرسة الإحياء والبعث"

مدرسة الإحياء والبعث اسم يطلق على الحركة الشعرية التي ظهرت في مصر في أوائل العصر الحديث، والتزم فيها الشعراء بنظم الشعر العربي على النهج الذي كان عليه في عصور ازدهاره، منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي. ويعد رائد هذه المدرسة محمود سامي البارودي ومن أشهر شعراء هذا النهج الذي يطلق عليه صفة (أبرز شعراء المدرسة الكلاسيكية): أحمد شوقي أمير الشعراء وحافظ إبراهيم شاعر النيل وأحمد محرم وإسماعيل صبري، ومعروف الرصافي، وأحمد الكاشف، وجميل صدقي الزهاوي، ومحمد عبد المطلب، وعلي الغاياتي، وعلي الجارم وغيرهم الكثير. والمقصود بتسمية مدرسة الإحياء والبعث أنه كما تعود الروح لجسد ميت، فترد له الحياة بعد أن فارقته، فيبعث إلى الدنيا من جديد، كما هو الحال بالنسبة للشعر العربي، الذي استسلم إلى حالة من الجمود، أخذ على إثرها في الضعف والاضمحلال منذ

سقوط بغداد سنة ١٢٥٨ في أيدي التتار الذين قضوا على الخلافة العباسية وخربوا بغداد وهدموا دور العلم، وألقوا بألوف المخطوطات التي تضم الثقافة العربية وتحوي تراثها في النهر.

وعلى إثر سيطرة العثمانيين (الأتراك) على البلاد العربية التي تعرضت لضغوط قاسية كبيرة بحيث أصبحت البلاد العربية ولايات ومقاطعات عثمانية (تركية) وتم تعيين الولاة (الحكام) من الأتراك الذين لا يفهمون اللغة العربية، فبدأوا بسياسة "التتريك" أي جعل اللغة التركية اللغة الرسمية لكل البلاد العربية، ما أدى إلى ضعف شبه تام للغة العربية تداولاً وكتابة، حيث تم إلغاء كل الدواوين (الدوائر الحكومية) ومنها (ديوان الإنشاء) ما يعرف اليوم بمراسم الدولة (البروتوكول)، والمراسلات الحكومية التي تكتب بالعربية، وتم منع تعليم اللغة العربية فانتشر الجهل، وكان الفقر والاستبداد طابع عهد الاستعمار التركي، ولأن ولاة الأتراك لا يفهمون الشعر ومعانيه فقد تم منع ومصادرة كل ما يكتب منه، بذلك تم حرمان البلاد العربية من مصادر ثقافتها وتعليمها، وتم إغلاق المدارس ونقل الكتب والعلماء إلى تركيا، ونتيجة لذلك صار الشعر كالجسم الهامد وأصبح في حاجة إلى من يبعثه من جديد.

ضمن هذه الأوضاع ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، برزت أسماء رواد في مجال الشعر والأدب أسسوا مدارس أدبية تركت أثرها البارز حتى اليوم بطريقة أو بأخرى، كان أولها (مدرسة الإحياء والبعث) وقد أطلق هذا الاسم على الحركة الشعرية التي ظهرت في بين أواخر القرن التاسع والربع الأول من القرن العشرين حيث التزم الشعراء في هذه الحركة بالنظم على نهج الشعر العربي في عصور ازدهاره، منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، وقد مثّل هذه المدرسة من جيل الرواد محمود سامي البارودي، ثم أحمد شوقي، ومن عاصرهم أو تلاهم مثل: حافظ إبراهيم وأحمد محرم وعزيز أباظة وعلي الجارم، وترددت أصداء هذه المدرسة في دواوين معروف الرصافي، وجميل صدقي الزهاوي وعبد المحسن الكاظمي، كما ترددت في أشعار إبراهيم اليازجي وأمين نخلة وأحمد الصافي النجفي وسعيد العيسى ومصطفى خريف ومحمد رضا الشبيبي وخير الدين الزركلي وحمد سعيد العباسي ومحمد عمر البنا وغيرهم الكثير من كل البلاد العربية.

وقد برزت عوامل شتى أعادت للشعر العربي، على يد البارودي وشوقي ألقه وقوته وازدهاره، فإلى جانب عامل الموهبة، فإن مدرسة البعث والإحياء كانت وليدة حركة بعث شامل في الأدب والدين والفكر، إذ أخرجت المطابع أمهات كتب الأدب – خاصة – مثل: الأغاني للأصفهاني، ونهج البلاغة لابن أبي الحديد، ومقامات بديع الزمان الهمذاني، كما أخرجت دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، وكان الشيخ محمد عبده قد حقق هذه الكتب وسواها، وجلس لتدريسها لطلاب الأزهر ودار العلوم، فضلاً عن الصحوة الشاملة في شتَّى مرافق الحياة، والاتصال بالثقافة الحديثة وصدور الصحف والمجلات، وانتشار التعليم.

وإذا كان البارودي قد أعاد للشعر العربي ديباجته، فإن أحمد شوقي، في حدود نزعته التقليدية، قد مضى بما خلفه البارودي أشواطاً بعيدة بمسرحه الشعري وقصصه التعليمي على لسان الحيوان، وقصائده الوطنية والعربية والإسلامية، وبتعبيره الشعري عن أحداث عصره وهمومه. كما كان لثقافته الفرنسية أثر واضح فيما أحدثه من نهضة

شعرية تجاوزت الحدود التي وقف البارودي عندها، وكان شوقي قد قرأ كورني وراسين ولافونتين، وشكسبير وتأثر به كثيراً في مسرحه الشعري.

وكان رواد "مدرسة الديوان" أكبر المنتقدين لهذا النهج الشعري، وأفرد عباس محمود العقاد في كتاب (الديوان في الأدب والنقد) مساحات كبيرة لانتقادات لاذعة لأشعار أحمد شوقي.

"مدرسة الديوان"

سميت مدرسة الديوان بهذا الاسم نسبة إلى كتابهم (الديوان في الأدب والنقد) الذي أصدره عباس محمود العقّاد وإبراهيم عبد القادر المازني عام ١٩٢١ وشاركهما في تأسيس هذه الجماعة عبد الرحمن شكري، فسمي الثلاثة (جماعة الديوان، أو شعراء الديوان، أو مدرسة الديوان)، ويذكر أن آرائهم الشعرية قد ظهرت منذ عام ١٩٠٩، وقد نظر هؤلاء إلى الشعر نظرةً تختلف عن شعراء مدرسة الإحياء، فعبروا عن ذواتهم وعواطفهم، وما ساد عصرهم، ودعوا إلى التحرر من الاستعمار وتحمُّل المسؤولية، فهاجموا الإحيائيين، وفي مقدمتهم (احمد شوقي وحافظ إبراهيم ومصطفى صادق الرافعي)، وقد حُددت أهداف هذه المدرسة كما

يقول العقاد في الديوان: "وأوجز ما نصف به عملنا إن أفلحنا فيه أنه إقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما، وأقرب ما نميز به مذهبنا أنه مذهب إنساني مصري عربي".

اتجه رواد هذه المدرسة إلى التجديد عندما وجدوا أنفسهم يمثلون الشباب العربي وهو يمر بأزمة فرضها الاستعمار علي الوطن العربي الذي نشر الفوضى والجهل بين أبنائه في محاولة منه لتحطيم الشخصية العربية الإسلامية، عندئذ تصادمت آمالهم الجميلة مع الواقع الأليم الذي لا يستطيعون تغييره فحدث ما يلي لهم:

١ – الهروب من عالم الواقع إلى عالم الأحلام.

٢ – الفرار إلى الطبيعة ليبثوا لها آمالهم الضائعة.

٣ – التأمل في الكون والتعمق في أسرار الوجود.

ومما تدعو إليه المدرسة التمرد على الأساليب القديمة المتبعة في الشعر العربي سواء في الشكل أو المضمون أو البناء أو اللغة، نهجت هذه المدرسة النهج الرومانسي في شعرها ومن أبرز سمات هذه المدرسة:

١ – الدعوة إلى التجديد الشعري في الموضوعات.

٢ – الاستفادة من الأدب الغربي.

٣ – الإطلاع على الشعر العربي القديم.

٤ – الاستعانة بمدرسة التحليل النفسي.

٥ – الاتجاه إلى الشعر الوجداني.

وبعد اعتزال المازني وشكري بقي العقاد في الديوان وحده، وبعد نحو من ثلاثين عاماً تراجع العقاد نفسه عن كثير من أفكاره، خاصة تلك المتعلقة بعمود الشعر، وذكر أنه أمضى في التيار الجديد نحواً من ثلاثين عاماً، ومع ذلك، فإن أذنه لم تألف موسيقى الشعر الجديد وإيقاعه.

الفرق بين مدرسة الإحياء ومدرسة الديوان

مدرسة الإحياء سعت إلى إحياء الشعر العربي القديم والحفاظ على أصالته، بينما مدرسة الديوان سعت إلى التجديد والخروج عن المألوف في الشعر العربي، معبرة عن ذاتية الشاعر ومشاعره.

١ – مدرسة مطران خطوة انتقالية من الكلاسيكية إلى الرومانسية، ومدرسة الديوان انطلاقة في طريق الرومانسية.

٢ – مطران متأثر بالرومانسية الفرنسية، وشعراء الديوان متأثرون بالرومانسية الإنكليزية.

٣ – مطران يلتزم وحدة الوزن والقافية، وشعراء الديوان لا يلتزمون بهذه الوحدة.

مدرسة الديوان

١ – عدم الالتزام بالوزن والقافية.

٢ – عدم الإسراف في استخدام الصور والمحسنات.

٣ – يستمدون الصور غالباً من القديم.

٤ – يستخدمون لغة العصر.

٥ – لا يحاكون القدماء في أغراضهم أو معانيهم.

٦ – الوحدة العضوية.

مدرسة الإحياء

١ – الالتزام بالوزن والقافية.

٢ – المغالاة في استخدام الصور والمحسنات.

٣ – يستمدون الصور من بيئتهم الجديدة.

٤ – يستخدمون لغة التراث.

٥ – يحاكون القدماء ولذلك كثرت المعارضات في شعرهم.

٦ – وحدة البيت الشعري.

الأدب العربي الحديث

مع قدوم حملة الغزو الاستعماري الفرنسي على مصر سنة ١٧٩٨، جلب قائد الحملة (نابليون بونابرت) معه آلات طباعة مجهزة بحروف عربية وفرنسية ويونانية، كانت غايته منها طبع المنشورات التي يريد توزيعها على الناس متضمنة أوامره أو بياناته، وفي هذا الصدد يذكر فيليب دي طرازي في كتابه (تاريخ الصحافة العربية – الجزء الأول ص ٤٥)، "أصدرت الحملة في القاهرة جريدتين باللغة الفرنسية هما (Le Courrier d’Egypte) و(La Décade Egyptienne)، وفي ٦ كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٠٠، أصدر نابليون صحيفة (التنبيه) في الإسكندرية، وكان يرأس تحريرها إسماعيل بن سعد الخشاب". هكذا بزغت شمس الصحافة العربية، على يد "أمة غريبة أدخلت هذا الفن الشريف إلى البلاد العربية مع سائر جراثيم التمدن الحديث" كما يقول فيليب دي طرازي.

ومع رحيل المستعمر الفرنسي عام ١٨٠١، بدأ عصر جديد سمي بعصر الأدب العربي الحديث في مصر الذي لجأ إليه العديد من الأدباء والشعراء والكتّاب والفنانين من لبنان وسوريا وفلسطين والعراق

حيث استعاد الأدب العربي مجده من جديد وبخاصة الشعر، وعاد الشعراء والكتّاب به إلى الاتصال بالثقافة العربية وبعثها من جديد، عن طريق التحقيق والنشر، ثم بدأت أعمال النشر والطباعة تزدهر في مصر وفي الولايات العثمانية آنذاك مثل بيروت ودمشق وبغداد، والإطلاع على ثقافة الغرب وأدبه، وترجمة ذلك الأدب إلى اللغة العربية، والوقوف على طبيعة الأدب الغربي من حيث الشكل والمضمون، وكان الأديب والشاعر أحمد فارس الشدياق، صاحب مجلة (الجوائب) في القسطنطينية سنة ١٨٦٠، أحد رواد النهضة العربية الحديثة، الذي حلل أسباب نهضة أوروبا في عصره وكان يؤكد أن الفكر والإبداع ليس حكراً على الغرب وحده إذا ما توفرت عوامل البناء.

وقد ساعد على الاتصال بأدب الغرب أدباء عرب رأوا أن الشعر تعبير عن الحياة والواقع كما هو تعبير عن الذات، ومن هؤلاء الأدباء عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري الذين كونوا جماعة أدبية سميت (مدرسة الديوان)(٣)، ثم جاء بعدهم أدباء آخرون كونوا جماعة عرفت بـ(جماعة أبولو)(٤)، وقد برز أدب المهجر الذي أسسه مجموعة من الأدباء العرب الذين هجروا بلادهم طلباً

للحرية والرزق في بداية القرن العشرين، وكان لهم الفضل في رفد الأدب العربي بالكثير من الإبداعات في مختلف المجالات، وساعدوا على تخليص وطنهم من نير الاستعمار العثماني (التركي) وما تبعه بعد ذلك خلال فترات الانتداب الاستعمارين البريطاني والفرنسي، وقد استقر الكثير من الأدباء والشعراء بداية في الأميركيتين وتأثروا بالأدب هناك، كمما ذكرنا من قبل.

الآداب والعلوم العربية من الذروة إلى الحضيض والعكس

وبعودة إلى جذور التأريخ المقروء نجد بأن الحضارة العربية قد بلغت ذروة ازدهارها خلال حقبة الخلافة العباسية ببغداد، والأمويين بقرطبة والأندلس عامة، ثم في عهود الدول الإسلامية المختلفة في آسيا وإفريقية وأوروبا، ويمكنني هنا أن أجزم بأن الحضارة العربية في مختلف عصورها كانت أصيلة وأنها لم تكن من الحضارات المقلدة أو التابعة أو الذيلية، ومع سقوط الدولة العربية في الأندلس سنة ١٤٩٢م، بدأت في الوقت نفسه النهضة الأوروبية تتسع لتشمل كل الميادين، وبينما كان "(فريدريك الأكبر) ملك ألمانيا يفاخر ملوك أوروبا بكونه يعرف اللغة العربية قراءة وكتابة، كان أدباء العرب ينظمون الأحاجي في زوايا التكايا وتحت أساطين المساجد المهملة، مما جعل السمات الإنسانية عند العرب تتكفىء دهوراً وتدور مقوماتها في حلقات مفرغة تحت أعداد كبيرة من الحكام والسلاطين الجهلة والممالك والمرتزقة".(٥)

ويمكن هنا التأكيد إن أسباب انكفاء العرب يعود لأسباب سياسية سلطوية عشائرية وعائلية، وكذلك بسبب تسليم مقدرات بلادهم الاقتصادية إلى أياد خارجية وعدم اعتمادهم على أبناء وطنهم بسبب مخاوفهم من الانقلابات عليهم كما حدث في الأندلس على سبيل المثال، وكان للدول الأوروبية عبر العصور التأثير البارز والواضح في مجريات الأوضاع في البلاد العربية بسبب تزايد اهتمام دول أوروبا وتحديداً بريطانيا وفرنسا اللتان كانتا تستعمران معظم البلاد العربية حتى منتصف القرن الماضي بشكل مباشر، ولاحقاً بشكل غير مباشر، بسبب اهتمام دول الغرب بشكل عام بالاستيلاء على المناطق الغنية بالثروات الطبيعية مثل النفط والغاز والفوسفات والذهب والماس وغير ذلك من الثروات الدفينة في الأرض العربية. ومما ساعد على تحقيق فرض السيطرة غير العربية على بلاد العرب عموماً، بالأساس الحكام العرب دون استثناء الذين استبعدوا أبناء وطنهم الذين كانوا متفرقين شيعاً بين مختلف العقائد والأفكار السياسية والدينية والمذهبية، في الوقت الذي كانت تشهد فيه أوروبا نهضة صناعية متسارعة، بينما كانت الدول العربية في حالة من عدم الاستقرار السياسي، لأنها كانت خارجة لتوها من تحت نير الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي

المباشر، في الوقت الذي كانت بعض الدول العربية الأخرى في ثورات ضد المستعمر الفرنسي مثل الجزائر، وبفعل العلاقات التي كانت تربط بين الدول العربية المُستعمَرة (بفتح الميم الثانية) والدول المُستعمِرة (بكسر الميم الثانية) كانت هناك موجات من الشباب يدرسون أو يتخصصون في الجامعات الأوروبية وتحديداً في فرنسا وبريطانيا، ولاحقاً في روسيا، الذين عادوا فيما بعد إلى بلادهم متأثرين بالأسلوب الغربي في كافة المجالات ومنها الأدب والشعر والرواية والثقافة بشكل عام.

أثر الأدب العربي في أوروبا

ورد في كتاب عباس محمود العقَّاد (أثر العرب في الحضارة الأوروبية) فصل كامل حول الأدب العربي وتأثر الأوروبيين بهذا الأدب، جاء فيه "كتب الأستاذ (غيب) (Gibb) في مجموعة (تراث الإسلام) فصلاً ممتعاً عن أثر العرب في الآداب الأوروبية استشهد فيه بكلمة للأستاذ (ماكييل) من محاضراته على الشعر قال فيها: "أن أوروبة مَدينة لبلاد العربية بنزعتها المجازية وأننا (يعني الأوروبيين) مدينون لبطحاء العرب وسورية بمعظم القوى الحيوية الدافعة (أو بجميع تلك القوى) التي جعلت القرون الوسطى مخالفة في الروح والخيال للعالم الذي كانت تحكمه رومة".

ويضيف العقاد: "من ذلك يتضح بأن الأستاذ (غيب)، لا ينفي الأثر الذي تركه الأدب العربي في شعر الأوروبيين ونثرهم منذ القرن الثالث عشر إلى القرون الحديثة، وإن كان يرجح أن هذا الأثر قد تسرب من طريق الإيحاء والرواية اللسانية بين المسلمين الذين كانوا يتكلمون العربية وبعض اللغات الأوروبية وبين شعراء فرنسا الجنوبيين ممن لم تثبت معرفتهم بالعربية على التحقيق".

ويضيف العقاد: "الذي نعتقده على أية حال أن العقل يأبى كل الإباء أن قيام الأدب العربي في الأندلس يذهب من صفحة التاريخ الأوروبي بغير أثر مباشر على الأذواق والأفكار والموضوعات والدواعي النفسية والأساليب اللغوية التي تستمد منها الآداب. ويزيدنا اعتقاداً بذلك أن أوروبا كانت تتلقى آثار الثقافة العربية من ثلاث جهات متلاحقة في القرون الوسطى، أولها جهة القوافل التجارية التي كانت تغدو وتروح بين آسيا وأوروبا الشرقية والشمالية من طريق بحر الخرز أو طريق القسطنطينية، وربما كانت هذه الطريق التي وصلت منها أطراف الأخبار الإسلامية إلى بلاد السكنداف. والجهة الثانية هي جهة المواطن التي احتلها الصليبيون وعاشوا فيها زمناً طويلاً بين سوريا ومصر وسائر الأقطار الإسلامية (العربية). والجهة الثالثة هي جهة الأندلس وصقلية وغيرهما من البلاد التي قامت فيها دول المسلمين وانتشر فيها المتكلمون باللغة العربية".

وتقول الأديبة الألمانية المستشرقة "زيغريد هونكه"، "لم يكن، من قبيل المصادفة بتّة، أن أكتب أنا السيدة الألمانية هذا الكتاب، فالعرب والألمان لا تربطهم فقط أيام دولتهم القوية، التي انقسمت الآن، والتي

بدأت صعودها من جديد بقوة وحيوية وعزم، إنما هي رابطة قوية من الفكر والثقافة قد وثّقت العرى بينهما، امتدّت جذورها في أعماق التاريخ، واستمرت على مرّ القرون ولازالت آثارها حتى اليوم".(٦)

وتضيف: "قد ظهرت معالم تلك الروابط واتخذت طابع الصداقة والمودّة منذ أوقفَ قيصر ألماني عظيم، أحب العرب وأُعجب بهم، بعد سفك الدماء في وقت سادت فيه العداوة والبغضاء بينهما أيام الحروب الصليبية، فأحل بذلك الصداقة المتبادلة محلّ الكراهية والتعصب والعداء. ومنذ ذلك الحين نمت أواصر المودّة بين ألمانيا والعالم العربي، وعلى الرغم من هذا – أقولها بمرارة – فإن الناس عندنا لا يعرفون إلا القليل عن جهودكم الحضارية الخالدة، ودورها في نموّ حضارة الغرب".(٧)

وتقول: "لهذا صممت على كتابة هذا المؤلَّف، وأردت أن أكرّم العبقرية العربية، وأن أُتيح لمواطنيّ فرصة العودة إلى تكريمها، كما أردت أن أقدّم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرمهم من سماعه طويلاً تعصّب أعمى أو جهل أحمق".(٨)

وتضيف زيغريد هونكه قائلة: "لم يعد العالم مقتصراً على أوروبة وحدها، كما وأن التاريخ الأوروبي لم يعد، في الوقت الحاضر، التاريخ العالمي وحده، ذلك إن شعوب قارات أخرى قد اعتلت المسرح العالمي، ففي الوقت الذي كانت تسعى فيه أطراف الأرض جميعاً إلى رسم خطوط مسرحية التاريخ العالمي، دون أي وشيجة سابقة تربط بينها، تعود بنا الذكرى على الدوام إلى (خارطة العالم) في القرون الوسطى التي تصوّر أوروبة دائرة يلفّها البحر العالمي، وتتوسطها بلاد الإغريق من جهة، ورومة من جهة ثانية، فردوساً لها ومركز إشعاع. أما أن تكون ثمة شعوب أخرى، وأطراف من الأرض لها شأن عظيم في التاريخ، بل وفي تاريخنا الغربي خاصة، فذلك أمرٌ لم يعد بالإمكان تجاهله في حاضر قد طاول النجوم عظمة. لأجل ذلك، يخيّل إليّ أن الوقت قد حان للتحدث عن شعب قد أثّر بقوة على مجرى الأحداث العالمية، ويدين له الغرب، كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير، وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفّح مئة كتاب تاريخي، لا يجد اسماً لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها".(٩)

"وحتى هذا اليوم، فإن تاريخ العالم، بل وتاريخ الآداب والفنون والعلوم لا يبدأ – بالنسبة إلى الإنسان الغربي وتلميذ المدرسة – إلا بمصر القديمة وبابل بدءاً خاطفاً سريعاً، ثم يتوسّع ويتشعّب ببلاد الإغريق ورومة، ماراً مروراً عابراً ببزنطية، ومتنقلاً إلى القرون الوسطى المسيحية، لينتهي منها لآخر الأمر بالعصور الحديثة".(١٠)

"ولم يكن هناك أحد ليمنح أوروبة ما قبل القرون الوسطى أي اهتمام، أو ليمنَح الأحداث التي جرت في العالم خلال تلك العصور أية أهمية أيضاً. وأما أن يكون العرب في جوار قريب لها، وأن يكون هذا الشعب رائداً لغيره من الشعوب في أنحاء الدنيا في غضون سبعمائة وخمسين عاماً حاملاً مشعل الثقافة ردحاً جاوز عصر الإغريق الذهبي بضعفيه أكثر من أي شعب آخر، فهذا أمرٌ من يعلم به؟ من يتحدث عنه؟"(١١)

وتضيف: "في سياق الحديث عن الإغريق، اعترف الأوروبيون بدور العرب في التاريخ حين قالوا إن العرب قد (نقلوا) كنوز القدامى إلى بلاد الغرب!. إن هذه العبارة الوحيدة التي يحاول فيها الكثيرون كذباً وادعاءً تقريظ ما قد أسدوه لأوروبا، تحدد للعرب، في الواقع، دور ساعي البريد

فقط، فتقلل من قدرهم حين تطمس الكثير من الحقائق وراء حجب النسيان".(١٢)

وقد تأكد مؤخراً الدور الهام الذي قام به الأدب العربي وتأثيره على الأدب الأوروبي فقد ذكرت الباحثة الألمانية كاتارينا مومزن الأستاذة بجامعة ستانفورد الأمريكية في كتابها (غوته وبعض شعراء العصر الإسلامي)، حيث تقول "أن كثيرين يرون أبا الطيب المتنبي "٩١٥ – ٩٦٥" أعظم شاعر عربي أو آخر الشعراء العرب العظام على أدنى تقدير، وتشهد الاحتفالات التي أقيمت في كل البلدان الناطقة بالعربية في عام ١٩٣٥ بمناسبة مرور ألف عام على ميلاده على مدى التقدير الذي يحظى به هذا الشاعر المبدع في الفن الشعري العربي، ديوانه من جملة النصوص التي اعتاد الناشئة على حفظها عن ظهر قلب كحفظهم للقرآن".(١٣)

وذكرت الباحثة الألمانية كاتارينا مومزن في كتابها أيضاً "قال غوته في كتابه (الديوان الغربي–الشرقي) "أنه يدين بالشكر لهم – أي العرب – ومنهم أحمد بن عرب شاه "١٣٨٩ – ١٤٥٠" وقيس الشهير بمجنون

ليلى وحاتم الطائي إضافة إلى فصل ختامي عنوانه "حكم وأمثال غوته وتأثرها بالحكم والأمثال العربية".(١٤)

وفي كتاب آخر للباحثة الألمانية كاتارينا مومزن يحمل عنوان "غوته والعالم العربي" استهلت الفصل الثاني منه وتحت عنوان "غوته والإسلام" بقولها: "إن علاقة غوته بالإسلام وبنبيه ظاهرة من أكثر الظواهر مدعاة للدهشة في حياة الشاعر" (ص: ١٥٩)، وأضافت "أن المتنبي كاد أن يكون نكرة بالنسبة للقارئ الأوروبي في عصر غوته، ولكنهم انتبهوا إليه بعد أن تحدث عنه غوته بإعجاب وإكبار في "الديوان الغربي–الشرقي" فبعد سنوات نشرت ترجمة كاملة لديوان المتنبي ووصفه الناشر الألماني في العنوان بأنه أعظم شاعر عربي"، وأشارت إلى "أن للمتنبي ظلالاً في بعض أعمال غوته ومنها مشهد فكاهي في مسرحيته "مأساة فاوست" كما استوحى النبرة الغزلية في قصيدته "السماح بالدخول" التي كتبها يوم ٢٤ نيسان/أبريل ١٨٢٠ من غزليات المتنبي".(١٥)

وقالت "وقد كان ذلك كذلك فعلاً، إذ اهتم غوته بالإسلام وبالقرآن الكريم وبسيرة النبي اهتماماً بالغ العناية، ولعل ذلك راجع إلى اهتمامه الفطري

بالأديان، ووقوفه في وجه النظرة المسيحية الصليبية التي سادت الفكر الغربي طيلة قرون، وانخراطه– في مقابل ذلك – ضمن مساعي عصره إبان القرن الثامن عشر، حيث سعت حركة التنوير – رافعة راية التسامح – إلى التعرف على الأديان الأخرى من غير المسيحية، ولا سيما أديان الشرق، علاوة على احتكاكه بكثير من معاصريه المنصفين للإسلام وفهمه، واطلاعه على أهم ما ألف عن الإسلام والشرق في عصره، وعلى رأسه الترجمة الألمانية للقرآن الكريم التي أنجزها ميجرلين (ديفيد فريديريش) عام ١٧٧١، وكانت له عليها ملاحظات وتصحيحات، و"المعجم التاريخي" لبيير بايل، و"المكتبة الشرقية"، لبارتيليمي داربيلو، و"الديانة المحمدية" للمستشرق الهولندي هارديان ريلاند، و"حياة محمد" الذي نشر بعد وفاة صاحبه هنري كونت بولنفيلييه، و"كنوز الشرق" "للمستشرق النمسوي يوسف فون هايمر... هذا الاطلاع الواسع على الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً وسيراً، سيكون مقدمة لحب عميق، واحترام وتوقير للإسلام والقرآن وشخصية النبي محمد، معبراً عن ذلك بوضوح وجلاء في جل أعماله: – مسرحية "غوتسن فون برليشينجين" (١٧٧٢) – مسرحية "تراجيديا محمد" (١٧٧٣) – "الديوان الغربي الشرقي"Westlisher Divan الذي دبج أولى قصائده عام

١٨١٤، – "تعليقات وأبحاث تعين على فهم الديوان الشرقي" – سيرته "شعر وحقيقة".(١٦)

من آثار الأدب العربي على الأدب الأوروبي:

١ – أثرت المقامات العربية في الأدب الأوروبي وغذت قصص الشعراء الأسبان بالعناصر الفنية والطابع الواقعي، ثم انتقل هذا التأثير إلى الأدب الأوروبي مما ساعد نشوء القص الواقعي وموت القص المثالي هناك وخاصة قصص الرعاة.

٢ – هناك ترجمة وشرح إلى العبرية لابن زيلا (١٧) لرسالة (حي بن يقظان) الصوفية التي ألفها ابن سينا قبل (ابن طفيل)، وقد نشرت الترجمة في برلين – ألمانيا – عام ١٨٨٧.

٣ – وترجم ادوارد بوكوك (١٨) قصة (حي بن يقظان) لابن طفيل إلى اللاتينية عام ١٦٧٤ وفي عام ١٧٠٠ تمت إعادة طباعتها بعنوان فرعي "الفيلسوف المعلم نفسه" (١٩).

٤ – تأثر الكاتب الإسباني (بلتاسار غراثيان) (١٦٠١ – ١٦٥٨) بقصة حي بن يقظان في ثلاثيته القصصية المعروفة بـ"النقاد" التي ظهر الجزء الأول منها عام ١٦٥١.

٥ – قام (ليون جوبيه) بترجمة قصة حي بن يقظان إلى الفرنسية عام ١٩٣٦، وقدّم لها بدراسة طويلة بعد أن كان قد نشر (رسالة حي بن يقظان) سنة ١٩٠٠ بالعربية نقلاً عن مخطوط وجده في الجزائر، ثم ترجمها كوزمين إلى الروسية ونشرها في بطرسبرغ عام ١٩٢٠.

٦ – من الثابت أن قصص الفروسية في أوروبا، تأثرت بحب الفروسية العربي بعد أن أشرب أهله روح الإسلام في الأندلس، كما تغذّت الروح العربية بفلسفة أفلاطون وأفلاطين المثالية.

٧ – من المعروف أن قصص ألف ليلة وليلة العربية قد ترجمت إلى الفرنسية على يد أنطوان غالان من عام ١٧٠٤ – ١٧١٧، ثم ترجمت إلى بقية اللغات الأوروبية وأثرت في أدب القصة والمسرح في الأدب الأوروبي طوال العصر الرومانتيكي، وما يزال هذا التأثير ماثلاً حتى اليوم في قصص بورخيه الأرجنتيني وباولو كويهلو البرازيلي وغيرهما من الكتّاب في اللغة الاسبانية.

عوامل تطور الشعر العربي

ومن العوامل التي أثرت في تطور الشعر العربي، الأحداث التي مرت بها البلاد العربية عامة، ومنها الصراع الجماهيري ضد الاستعمار استخلاصاً لحرية الشعوب التي قامت بثورات متعددة بقصد الاستقلال والتغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ومما ساهم في تلك الثورات أجواء الحرية الإعلامية التي كان يتميز بها لبنان آنذاك الذي كان الصوت المؤثر والملجأ لكل الأحرار العرب من أرجاء البلدان العربية، حيث كان لبنان ملتقى الأدب والأدباء والشعر والشعراء، وكل أصحاب الرأي الفكري والسياسي بمختلف أطيافهم وأفكارهم السياسية والاجتماعية، مما ساعد على ظهور حركات أدبية وشعرية مازالت آثارها ظاهرة حتى اليوم في الشعر العربي الحديث.

وبفعل هذه العوامل تطور الشعر العربي تطوراً كبيراً وسار في طريق التجديد، وصارت له خصائصه المميزة ويتضح ذلك بما يلي: مع بداية النهضة الحديثة حافظَ محمود سامي البارودي وأتباعه من أمثال احمد شوقي وحافظ إبراهيم ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي واحمد الشارف على الوزن الواحد والقافية الواحدة.

ثم جدد الشعراء في هذا المجال فغيروا القافية الواحدة في القصيدة الواحدة، وحلّت المقطوعة محل البيت، ونظموا قصائدهم من بحور قصيرة أو مجزوءة، ومال بعض الشعراء إلى الاعتماد على السطر الشعري الذي يقوم على تعدد التفعيلات التي قد يزيد عددها أو ينقص، كما حاول آخرون إغفال القافية، وفي هذا النوع من الشعر تُفتَقَدْ حلاوة الجرس الموسيقي الأخاذ الذي تطرب له الأذن والقلب، كما ظهر فن شعري مسرحي يعتمد في عرض الأحداث على الحوار، وفيه يختلف الأسلوب باختلاف الشخصيات.

مفهوم الشعر ومقوماته الفنية

الشعر يعبّر عن الوجدان، أو هو يعبّر عن الحياة كما يحسها الإنسان من خلال وجدانه، فالشاعر لا ينقل إلينا صور الحياة نقلاً مباشراً، ولكنه يقدمها لنا من خلال نظرته الخاصة لما يحيط به.

مقومات الشعر الفنية:

أ – التجربة الشعرية:

وهي عبارة عن موضوع أو فكرة يشعر بها الشاعر ثم ينفعل معها ويستغرق فيها بتأمل، وموضوع التجربة يمكن أن يكون ذاتياً ويمكن أن يتجاوز الذات إلى الآفاق العامة الاجتماعية أو الإنسانية، وموضوعات التجارب في الشعر متسعة بحيث لا يمكن حصرها، وقيمتها تكمن في مدى اندماج الشاعر فيها وشدة انفعاله بها، والصدق عنصر ضروري في التجربة، ويكفي أن يتمثل الشاعر التجربة ويقوي شعوره بها ويصورها بشكل مؤثر، لأن انعدام الصدق يفقد التجربة قيمتها، كشعر المناسبات مثلاً، مع التقدير لكل شعراء المناسبات.

ب – الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية:

ويقصد بها وحدة الجو النفسي للقصيدة وتلاحم أجزائها، فإذا اعترت الشاعر مشاعر متفاوتة فلا بد أن تنبع كلها من موقف واحد، وجو نفسي واحد، والوحدة العضوية بمفهومها الحديث تعتبر من مظاهر التجديد في الشعر العربي الحديث، إذ كانت القصيدة في الشعر العربي القديم تتناول أكثر من موضوع.

ج – الصورة التعبيرية أو الصياغة الشعرية:

وهي الألفاظ والعبارات، والصور المتخيلة لدى الشاعر، والموسيقى، فالكلمة التي هي أداة التعبير لدى الشاعر لا تقف في الشعر عند حد دلالتها اللغوية، بل أنه يُحمّلها شحنة من العواطف والمشاعر الحيّة فيعطيها بذلك قوة، بحيث تستكمل مع غيرها من الكلمات قدرتها، لذلك فأن الشاعر يحرص في اختيار ألفاظه وتنسيق عباراته، كذلك يحرص الشاعر على الإيحاء والتصوير، ويستمد ألفاظه وعباراته من لغة العصر الذي يعيشه، حتى لا يضطر القارئ إلى استخدام المعاجم في البحث عن المعاني غير الواضحة، فالألفاظ الحيّة التي يستخدمها الشاعر بلغة العصر أقوى تأثيراً من الألفاظ المهجورة، وهذا لا يعني

منع أو عدم استعمال كلمات مهجورة أو غير متداولة أو أسماء ووقائع تاريخية لتمتين المعنى وللدلالة على المقصود، أو تمرير كلمات للحفاظ على الوزن الشعري أو القافية، ويفضل وضع علامة رمزية مقابل الكلمة التي يُعتقد أنها بحاجة لشرح ووضع شرحها في أسفل الصفحة أو في نهاية القصيدة.

والصور والأخيلة، عنصر هام في الصياغة الشعرية يفيد الشاعر في التعبير عن تجربته حتى يكسبها الحياة والتأثير، والخيال منه ما هو جزئي كالتشبيه والاستعارة والكناية، ومنه ما هو كلّي وهو عبارة عن صورة تلوح لخيال الشاعر فيؤديها بالألفاظ، والخيال له تأثيره القوي في إبراز المشاعر، ووضوح المعاني، وقوة التأثير هذه لا تظهر إلا إذا كان الخيال طبيعياً غير متكلف.

الشعر المنظوم والمنثور

الشعر بفنونه وأغراضه، والنثر بمختلف أنواعه يمثلان معاً أسلوباً أدبياً، إلا أن هناك فروقاً من ناحيتي الشكل والمضمون تميز الشعر والنثر بحيث يمكن معرفة كل منهما: فالشعر يمتاز من حيث الشكل بموسيقية الإيقاع الصادرة عن الوزن والقافية، وكل قصيدة لها وحدة تقوم عليها، لتضبط نغمها، وللشاعر أن يرتكب الضرورات الشعرية مثل تقصير الممدود ومد المقصور، وصرف الممنوع من الصرف، أما من حيث المضمون (الموضوع) فأن وظيفة الشعر الأولى هي التعبير عن الوجدان، لذلك فهو يتجه إلى الإقناع برأي أو عرض فكرة، بينما النثر يتجه إلى عرض الفكرة والرأي متخذاً من الأسلوب الأدبي وسيلته للإقناع، كما أن هناك أغراضاً تتمشى مع الشعر ولا تتمشى مع النثر، أو هي تتفق مع الشعر أكثر من اتفاقها مع النثر، كالحماسة والحب والفخر، ولا يفوتنا أن نعرف بأن كلاً من الشعر والنثر عمل أدبي يعبّر عن انفعال صاحبه مصوراً التجربة الشعورية، إلا أن درجة الانفعال قد تكون أعلى في الشعر عنه في النثر.

الموسيقى والشعر

الموسيقى هي من أقوى عناصر الإيحاء في الشعر، وقد قيل "أن الشعر موسيقى ذات أفكار"، التي تعكس جوهر الشعر، وهي ذات أهمية قصوى في بنائه وتأثيره، على العكس من النثر، حيث تبرز موسيقى الشعر في "ألوزن والقافية" التي تضفي عليه إيقاعاً متناغماً ومؤثراً، بينما الأفكار تبقى هي جوهر المعنى الذي يحمله الشعر، وبما أن لغة الشعر منذ نشأته تقوم على التنغيم والإيقاع، وأن غاية الشعر هي التعبير عن الانفعال، لذلك فأن الإيقاع هو الطريق للتعبير الطبيعي عن الانفعال.

وموسيقى الشعر عادة تكون ظاهرة، وهذه ترجع إلى الوزن والقافية إذ تنشأ عنهما وحدة النغم والإيقاع، أو تكون داخلية وهي التي تنبع من عاطفة الشاعر الصادقة وشعوره الفياض، وسبيلها اختيار ألفاظ ذات وقع خاص ثم التأليف بينها في صورة صوتية معينة، والموسيقى الداخلية نوعان إما واضحة يسهل إدراكها، أو خفية يصعب إدراكها ولكن أثرها يظهر فيما تشيعه في النص الشعري من جو خاص يتفق مع الحالة النفسية التي يعبّر الشاعر عنها.

ولا بد من التنويه هنا إلى أن النثر كان معروفاً عند العرب القدامى، وكتب وقيل حوله الكثير بين مؤيد ورافض له، ويُعد (علي بن محمد بن العباس المعروف بأبي حيان التوحيدي) (٩٣٣ - ١٠٢٣) أول من أشاد بالنثر الفني وحلل مقوماته الجوهرية تحليلاً يتصف بالإيجاز والدقة والعمق، حيث يقول في كتابه (الهوامل والشوامل - أبو حيان التوحيدي ومسكويه - تقديم صلاح رسلان، وتحقيق أحمد أمين وأحمد صقر، الطبعة الأولى ١٩٥١ صفحة ٣٠٨ المسألة ١٤٢): "أنَّ قضية النَّظم والنثر من مسائل الفن التي يحيط بها كثير من الإبهام والجدل، فلا أنصار النظم استطاعوا تسويغ تقديمهم له، ولا مقدمو النثر قالوا في حجتهم فأغنوا وأقنعوا، فبقي الأمر على ما هو عليه لا يتقدم ولا يتأخر. من أجل ذلك أراد (أبو حيان التوحيدي) أن يعرف حقيقة الأمر ويكشف عن الرابط بينهما وكيف يتم التفاضل، ثم سأل ابن مسكويه وغيره قائلاً: "قد قدَّمَ الأَكْثَرُونَ النّظم على النثر ولم يحتجوا فِيهِ بِظَاهِر القَوْل، وأفادوا مع ذلك به، وجانبوا خفيات الحَقِيقَة فِيهِ. وَقدم الأقلّون النثر وحاولوا الْحجاج فِيهِ". فقال ابن مسكويه: "إن النظم والنثر نوعان قسيمان تحت الكلام، والكلام جنس لهما، وإنما تصح القسمة هكذا: الكلام ينقسم إلى المنظوم وغير المنظوم، وغير المنظوم ينقسم إلى المسجوع وغير

المسجوع، ولا يزال ينقسم كذلك حتى ينتهي إلى آخر أنواعه، ولما كان الناطق والطائر يشتركان في الحي الذي هو جنس لهما، ثم ينفصل الناطق عن الطائر بفضل النطق، فكذلك النظم والنثر يشتركان في الكلام الذي هو جنس لهما، ثم ينفصل النظم عن النثر بفضل الوزن الذي صار به منظوما". وفي طرق الإجابة تعددت مسالكُ الذين سألهم (التوحيدي)، والذين أورَدَ آراءهُم، فمن مقدم للنظم مقيم على تقديمه، محتجّ لما يرى بما هو معتقده، ومُقَدِّم للنثر يرى له من المزايا ما تتحقق له بها الفضيلة والمزية. ثم يأتي بعد ذلك برأيه ليوافق بين الرأيين، وينظر إلى المسألة من زاوية أخرى تنظر في الحقيقة التي ينبغي أن تكون معيار التقديم والتأخير، ولهذا الاختلاف والاتفاق في أن الجمال هو المزية التي "يُقَدَّم بها فنٌّ عن فنٍّ"، فيقول أبو حيان "وَقَدْ قَالَ النَّاسُ في هَذَيْنِ الفَنّيْنِ ضُرُوباً مِنَ القَوْلِ لم يَبْعُدُواْ فِيهَا مِنَ الوَصْفِ الحسَنِ، وَالإِنْصَافِ المحمُودِ، والتّنَافُسِ المقبول، إلا ما خالطه من التعصّب والْمَحْكِ، لأنَّ صَاحِبَ هذين الخلُقَيْنِ لا يخلُو مِنْ بعض المكابَرَةِ والمغَالطَةِ، وبقدر ذلك يَصِيرُ له مَدخلٌ فيمَا يُرَادُ تحقيقُهُ مِن بَيَانِ الحجَّةِ أَو قُصُورِها عمَّا يُرَامُ مِنَ البُلوغ بها، وهذه آفةٌ مُعْتَرِضَةٌ في أمُور الدّينِ والدّنيَا، ولا مَطمَع في زوالها، لأنَّهَا ناشئة من الطّبائع المختلفة،

والعادات السّيّئة". كذلك بيّن (التوحيدي) أهمية كل من عنصري العقل والموسيقى في النثر الفني، ومن رأيه في هذا الصدد "أن الشعر لا يختص وحده بالموسيقى والخيال، بل هما قدر مشترك بين الشعر والنثر الفني، والفرق بين النوعين من الكلام نسبي أما الجوهر فواحد".

وفي العصر الجاهلي انقسم الأدب على نوعين رئيسيين هما:

الشعر: هو حسب التعريف الأول، الكلام الموزون المقفّى، الذي يفيد معنى، أم حديثاً فقد عُرف بأنه "الأسلوب الذي يصور به الشاعر أحاسيسه وعواطفه معتمداً على موسيقى الكلمات ووزنها والخيال والعاطفة".

أما النثر: فهو الأسلوب الذي يصور به الأديب أفكاره ومعانيه غير معتمد على وزن أو قافية، ويميل إلى التقرير والمباشرة.

هكذا كان مفهوم النثر عند العرب القدامى، أما اليوم فهناك تعدد في الآراء حوله، وما نراه من كتابات يقال عنها أنها نثر، إنما في الواقع لا رابط بينها وبين النثر ومفهومه الأصيل، فمنهم من يسميها "شعر

منثور" ومنهم من يقول أنها "نظم منثور" والثاني هو القول الأقرب إلى حقيقة معنى ومفهوم كلمة نثر.

الشعر الحر

مما لا شك فيه أن ظاهرة الشعر الحر، التي بدأت منذ ثلاثينيات القرن العشرين، كانت من أهم القضايا التي برزت في شكل حركة تجديدية مست الشعر العربي في تسميته بصفة عامة وفي بناء القصيدة بصفة خاصة، ويعتبر الشعر الحر أحد أنواع الشعر العالمي والعربي الأكثر انتشاراً، الذي بدأ يأخذ شكله منذ نهاية القرن التاسع عشر وفي الثلاثينيات من القرن العشرين في الوطن العربي، وقد أطلق عليه مصطلحات كثيرة منها "الشعر المرسل" أو "النظم المرسل المنطلق" أو "الشعر الجديد" في بداياته، أما بعد الأربعينات فأطلق عليه مسمى "الشعر الحر". مع العلم أن ظهور هذه الحركة التجديدية قد سبقتها عدة محاولات في الشعر العربي القديم، ومحاولات أخرى في العصر الحديث، ومن رواد هذا النوع من الشعر أذكر محمد حسن عواد (١٩٠٢ – ١٩٧٩) من الحجاز، وعلي أحمد باكثير من اليمن، الذي ترجم عام ١٩٣٦ أثناء دراسته في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً) مسرحية (روميو وجولييت) لشكسبير بـ"الشعر المرسل"، وفي عام ١٩٣٨ ألف مسرحية (أخناتون ونفرتيتي) بـ"الشعر الحر".

لذلك فأن الحديث عن التجديد في الشعر المعاصر أو الجديد وعن روّاده يحتاج إلى عشرات الكتب، أختصره بالتالي: إن التجديد في الشعر، شكلاً، وقالباً، وأسلوباً، ومعنىً، لم يتوقف منذ عصر امرىء القيس، والخنساء، وصولاً إلى بلاد الحجاز والشام والعراق ومصر في العصر الحديث، إلى أن بدأت النكبات تتوالى على العرب بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، من العراق في أربعينيات القرن الماضي ثم نكبة فلسطين المأساوية ١٩٤٨ التي غيرت وجه المنطقة، وأصابت الأمة في صميمها، مما ترك الأثر العميق في نفوس الأدباء والشعراء، أمثال من العراق: نازك الملائكة (١٩٢٣ – ٢٠٠٧)، وبدر شاكر السياب (١٩٢٦ – ١٩٦٤)، وعبد الوهاب البياتي (١٩٢٦ – ١٩٩٩) وبلند الحيدري (١٩٢٦ – ١٩٩٦)، ولميعة عباس عمارة (١٩٢٩ – ٢٠٢١) وعبد الرزاق عبد الواحد (١٩٣٠ – ٢٠١٥) وشاذل طاقة (١٩٢٩ – ١٩٧٤) ويوسف الصائغ (١٩٣٣ – ٢٠٠٥) وغيرهم الكثير بالإضافة إلى جبرا إبراهيم جبرا من فلسطين عاش في العراق (١٩١٩ – ١٩٩٤) الذين حملوا لواء التجدّيد في الشعر العربي، وقد اتفق النقاد على ريادتهم تاريخياً لهذا النوع من الشعر.

إن الشعر الحر غيّر تغييراً حاسماً في تاريخ الشعر العربي، لارتباطه بتحوُّلٍ عميق على صعيد البناء الموسيقي، وأنماط التعبير الفكرية والإبداعية، وقد كانت بداية هذا الكشف الشعري في العراق على يد نازك الملائكة في قصيدة (الكوليرا) في تشرين الأول/نوفمبر ١٩٤٧، التي تبنت مصطلح "الشعر الحر" الذي انتشر ولقي حظوة وقبولاً لدى شعراء ونقاد، (لمزيد من المعلومات حول رأي نازك الملائكة يمكن للقارىء أن يطالع كتابها (قضايا الشعر المعاصر) طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٦٨)، وكذلك على يد بدر شاكر السياب في قصيدته (هل كان حبّاً) في ديوانه (أزهار ذابلة) الذي صدر في كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٧، مع لفت الانتباه إلى أنّ قضية الحداثة في الشعر هي أعمق من مجرّد كونها قضية شكلية.

وما زال الجدل مفتوحاً حتى الآن بين تيار من الأدباء والنقاد الذين يرون أن الشعر الحر يختلف عن قصيدة النثر، ويعتبرونه شعراً موزوناً لكنه متحرر من عدد التفعيلات التي تحدد شطر البيت في الشعر الخليلي نسبة إلى (الخليل بن أحمد الفراهيدي)، ويمثل هذا التيار الشاعرة نازك الملائكة، وبين من يرى أن النثر أو قصيدة النثر بحد

ذاتها هي الشعر الحر لأنه متحرر من أي قالب أو وزن أو بحر وأبرز من يمثل هذا التيار جبرا إبراهيم جبرا الذي يقول في حواراته التي أجراه معه ماجد صالح السامرائي ونشرها في كتاب طبع في لبنان عام ٢٠١٧ بعنوان (الاكتشاف والدهشة حوار في دوافع الابداع مع الناقد والفنان جبرا ابراهيم جبرا) هاجر جبرا من القدس إلى بغداد وهو يحمل، ربما أكثر من أي وقت مضى، رغبة عميقة في إحداث الجديد، قائلاً "هذا ما كان في بالي عندما جئت إلى بغداد: فلنجدد كل شيء، وطالما نحن نرفض أن نقول: إننا ضحايا هزيمة، فإننا لن نهزم، ولن يستطيع أحد أن يقهرنا. وعندما كنت أقول: فلنجدد كل شيء، ولنعش لمستقبل سيتحقق للأمة كلها، ولا شك في أن الصدمة التي تلقتها الأمة العربية عامة، والفلسطينيون خاصة، بالهزيمة العربية في عام ١٩٤٨ وضياع فلسطين وإقامة دولة إسرائيل، زادت من قناعة المثقفين والمبدعين العرب بأن كل شيء قد أصبح بالياً.. ولا بد من التجديد". ويضيف: "أما ما أكتب أنا فهو الشعر الحر بمعناه المصطلحي الحقيقي"، مفرقاً بذلك بينه وبين ما سُمي بالشعر المنثور أو قصيدة النثر – و"أن الشعر الحر يختلف اختلافاً تاماً عنهما" ومؤكداً على "إصراره على كتابة الشعر الحر، المتحرر من الأوزان والقوافي".

من رواد حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر

إضافة لما ذكرت أسماءهم أعلاه أذكر: أمل دنقل (١٩٤٠ – ١٩٨٣) وصلاح عبد الصبور (١٩٣١ – ١٩٨١)، وأحمد عبد المعطي حجازي (١٩٣٥ –) ومحمود حسن إسماعيل (١٩١٠ – ١٩٧٧) من مصر، و(علي أحمد سعيد اسبر) المعروف باسمه المستعار "أدونيس" (١٩٣٠ –)، وخليل حاوي (١٩١٩ – ١٩٨٢) من لبنان، ونزار قباني (١٩٢٣ – ١٩٩٨)، ومحمد الماغوط (١٩٣٤ – ٢٠٠٦)، وعبد الباسط محمد أبي الخير الصوفي (١٩٣١ – ١٩٦٠) من سوريا، وفدوى طوقان (١٩١٧ – ٢٠٠٣)، ومحمود درويش (١٩٤١ – ٢٠٠٨)، وسميح القاسم (١٩٣٩ – ٢٠١٤) من فلسطين، ومحمد الفيتوري (١٩٣٦ – ٢٠١٥)، ومحي الدين فارس (١٩٣٦ – ٢٠٠٨) من السودان، وعشرات غيرهم من الشعراء في بلدان عربية عديدة.

خصائص قصيدة الشعر الحر

يتميز الشعر الحر الحديث بخصائص أسلوبية متعددة، من خلال التحرر من قيود القافية والوزن التقليدي، واعتماد الوحدة العضوية "التفعيلة" بدلاً من البيت الموزون، مع إمكانية تنويع عدد التفعيلات بين الأبيات، كما يعتمد على الوحدة العضوية للقصيدة ككل بدلاً من تماسك الأبيات، ويلجأ إلى الرموز والصور الشعرية والتعبير عن التجارب الشخصية، بحيث صارت القصيدة تشكل كلاماً متماسكاً، وتزاوج بين الشكل والمضمون، فالبحر والقافية والتفعيلة والصياغة وضعت كلها في خدمة الموضوع وصار الشاعر يعتمد على "التفعيلة" وعلى الموسيقى الداخلية المناسبة بين الألفاظ.

ومدرسة الشعر الجديد (الواقعية) هي طريقة من التعبير عن نفسية الإنسان المعاصر، وقضاياه ونزوعاته، وطموحه، وآماله، وقد ظهرت لعوامل متعددة منها الرد على المدرسة "الابتداعية" أو "الرومانسية" الممعنة في الهروب من الواقع إلى الطبيعة وإلى عوالم مثالية.

أنموذج من شعر التفعيلة في قصيدة (النهاية) للشاعر المهجري نسيب عريضة:

كفنوه!

وادفنوه!

أسكنوه!

هوة الحد العميق

واذهبوا لا تندبوه

فهو شعب ميت

ليس يفيق

بهذه القصيدة جاء توزيع التفعيلات بحيث تكون واحدة تارة وتفعيلتين مرة، وثلاثاً مرة أخرى، وهذا قد يوحي من حيث الشكل – أنها من الشعر الجديد، ولكن لو أعدنا ترتيب كلماتها في الكتابة لأصبحت كما يلي:

"كفنوه وادفنوه أسكنوه هوة الحد العميق

واذهبوا لا تندبوه فهو شعب ميت ليس يفيق"

مميزات الشعر الحر

١ - يعتمد الشعر الحر أو شعر التفعيلة على وحدة للوزن الموسيقى، ولكنه لا يتقيد بعدد ثابت من التفعيلات في أبيات القصيدة.

٢ - أنه يقبل التدوير: بمعنى أنه قد يأتي جزء من التفعيلة في آخر البيت، ويأتي جزء منها في بداية البيت التالي.

٣ - عدم الالتزام بالقافية: إذ تتعدد فيه حروف الروي.

٤ - استعمال الصور الشعرية: كالتي تعمق التأثير بالفكرة التي يطرحها الشاعر.

٥ - اللجوء إلى الرمزية التي يموه بها الشاعر على مشاعره الخاصة أو ميوله السياسية، وقد يصعب على القارئ إدراك المقصود من القصيدة.

الشعر العامي والزجل

تعتبر الثقافة الشعبية مؤشراً أساسياً على حيوية الشعوب، فمن خلال دراسات متعددة أثبتت أن الثقافة الشعبية إنما هي منجم إنساني غني لفهم خصوصيات الشعوب وعمقها الحضاري، وضمن الثقافة الشعبية يحضر (الزجل) كأحد أهم أشكال التعبير بالعامية، ومكوّن من مكونات الثقافات العربية المتنوعة، بتلويناتها المحلية والإاقليمية.

والشعر الشعبي هو الشعر المنسوب إلى العامية وهي ما تتكلمه عامة الناس في حياتهم اليومية، وهو كل شعر منظوم بلهجة غير اللغة العربية الفصحى، فأي شعر خلاف الشعر العربي الفصيح هو شعر عامي أو شعر شعبي، والشعر العامي هو الّذي يتكلم بلهجة أهل البلد الدارجة والمتميزة، التي ينطق بها شخص يعرف أنّه من أهل ذاك البلد.

خصائص الشعر العامي

مفردات بسيطة: يستخدمها شعراء العامية قريبة من حديث الناس اليومي، وتعابير وأمثال شعبية وكلمات بسيطة تصل إلى قلب المتلقي الذي يرددها في الشارع والحارة وفي عمله، إضافة إلى أن شاعر العامية يعكس حياة الناس وهمومهم وآمالهم، التي تعد جزءاً لا يتجزأ من وجدان الشعب.

الزجل معنى واصطلاحاً

مما تعنيه لفظة زجل: رفع الصوت المُرنّم، أو الصوت العالي المُنَغّم. وقد ورد في (لسان العرب) لابن منظور، "الزجل هو الصوت، والزَّجْل: الرَّمْي بالشيء تأْخذه بيدك فترْمِي به".

ومع التطور التاريخي جُعل من لفظة زجل دالة اصطلاحاً على: شكل من أشكال التعبير النظمي أو الشعري، أداته اللغوية إحدى اللهجات الدارجة ومنذ بدايته ظل الزجل وسطياً بين أشكال النظم العربية،

الفصيح والمأثور الشعبي الجمعي والفلكلوري، ثم تحول تدريجياً إلى شكل مستقل ومتميز عن باقي الأشكال التعبيرية الشعبية الأخرى، وتداخل في بداياته مع الموشح، ثم انفرد بخصائصه لاحقاً، كتعبير شعبي مستقل.

والزجل هو شعر شعبي كما يؤكد أسعد سعيد في كتابه **(الزجل في أصله وفصله):** "أن هذا الفن اللبناني مشتق من العربي، و"القوال يعني غناء الرجل، والزجل هو الشعر العامي بالنسبة إلى اللهجة العامية، أو الشعر الشعبي للشعب، والقوال هو الاسم التاريخي للزجل: والزجل أصبح اسماً مصطلحاً عليه حالياً بدلاً من القوال". ص ٢٧.

ويذكر سليمان الرياشي في تقديمه لكتاب **(الزجل في أصله وفصله)** لأسعد سعيد: "يعتبر الشاعر أسعد سعيد أن "في قول القوالة، من سليمان الشلوحي عام ١٢٧٠م، حتى رومانوس حنينة، ورشيد نخلة والياس الفران والشحرور وعصره، لبنان الزجلي ليس ذا وجه عربي كما اخترعها بعض السياسيين، الزجل في لبنان عربي الوجه والقلب واللسان، عربي التراث". ص ٧.

ملاحظة لمن يريد الإطلاع على أهم المؤلفات التي أرخت للزجل تاريخياً أن يطالع: كتاب **(العاطل الحالي والمرخص الغالي)** لمؤلفه صفي الدين الحلي (١٢٧٧-١٣٣٩، صدرت الطبعة الأولى منه عن "دار الكتب والوثائق القومية" في القاهرة سنة ١٩٨١، الذي تمكن فيه الحلي من خلال سفرياته وتجواله واحتكاكه بالزجالين من تجميع الكثير من المعطيات المفيدة في تاريخ الزجل، والكشف عن القواعد المؤسسة له في زمانه، وكتاب **(بلوغ الأمل في فن الزجل)** لمؤلفه تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي (١٣٧٤-١٤٣٣)، الذي تنقّل بين بلاد الشام ومصر وخالط الزجالين، وقد صدر الكتاب عن "منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي" في دمشق سنة ١٩٧٤، وكتاب **(الزجل في أصله وفصله)** لمؤلفه أسعد سعيد (١٩٢٢ - ٢٠١٠) الذي صدرت الطبعة الأولى منه عن "المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع" في بيروت، سنة ٢٠٠٩.

أصول فن الزجل

يعتبر شعر الزجل فناً من فنون الأدب الشعبي استحدثه أهل الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، الذي يعدّ ثاني فنّ مستحدث بعد الموشّح، ويتشابه الموشّح والزجل ويختلفان من حيث اللغة، فالعربية الفصحى هي لغة الموشّح، والزجل باللهجات المحكية مع اختلاف الكلمات بالمنطوق، وهو ارتجالي، وقد أطلقه الأندلسيون على شعرهم العامي الذي اشتهر في القرن الثاني عشر الميلادي على يد الشاعر أبي بكر ابن قزمان القرطبي ١٠٧٨ – ١١٦٠)، في نهاية عهد ملوك الطوائف وقيام دولة المرابطين، حيث تراجعت الموشحات وقصائد الشعر الفصيح بسبب ضعف اللغة العربية لدى المرابطين، وحل محلها الزجل. وكان ابن قزمان من أوائل من دوّنوا الزجل، وله (ديوان أبي بكر بن قزمان القرطبي – إصابة الأغراض في ذكر الأعراض) الذي صدر في القاهرة عن المجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٩٥، ضم ١٤٩ زجلاً مليئاً بالمفردات العامية الأندلسية.

عن تاريخ الزجل يقول الأديب والمفكر مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠– ١٩٣٧) في كتابه (تاريخ آداب العرب) الذي صدرت الطبعة

الأولى عام ١٩١١، وطبعة سنة ٢٠١٣ التي صدرت عن "مؤسسة هنداوي" في فصل (الزجل) الصفحات ٧٨٩ وما بعدها، يُشير فيها إلى أن العالم أَبُو زَيْدٍ وَلِيُّ الدِّيْنِ عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحَسَن بن مُحَمَّد بن جَابِر بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن عَبْدِ الرَّحْمَٰن بن خَلْدُون الْحَضْرَمِيُّ الإِشْبِيْلِيُّ الشهير اختصاراً بِ(ابن خَلْدُون) (١٣٣٢ – ١٤٠٦م)، تحدث عن هذا الفن في كتابه الشهير (المقدّمة) المعروفة أيضاً بـ(مقدمة ابن خلدون) الذي ألفه في عام ١٣٧٧، كمقدمة لمولفه الضخم الموسوم (كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، قائلاً: "ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيها إعراباً، واستحدثوا فنّاً سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم فجاءوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة، وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية، أبو بكر بن قزمان، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس، ولكن لم تظهر حلاها ولا انسكبت معانيها واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه، وهو إمام الزجالين على الإطلاق".

وقال العلامة الغرناطي الأندلسي والوزير المعروف باسم (لسان الدين بن الخطيب) (١٣١٣ – ١٣٧٤م): "وقد شاعت أزجال ابن قزمان وأولع بها الناس خصوصاً المشارقة، حتى كانت في القرن السابع كما قال ابن سعيد العربي، مرويَّة في بغداد أكثر مما هي في حواضر المغرب. واشتهر مع ابن قزمان من معاصريه بهذه الطريقة عيسى البليدي، وأبو عمرو بن الزاهر الإشبيلي، وأبو الحسن المقري الداني وأبو بكر بن مدين، وكان في عصرهم بشرق الأندلس محلف الأسود، إلا أن إمامهم المجمع عليه إنما هو ابن قزمان. ثم جاء بعد هؤلاء عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس، وهو خليفة ابن قزمان في زمانه وقد وقعت له العجائب في هذه الطريقة، وامتاز عن ابن قزمان بصنعة ألفاظه، حتى طارت شهرته بذلك".

ومن أشهر الزجالين الأندلسيين في القرنين السادس والسابع الهجريين: إبراهيم بن سهل، وأبو الحسن الششتري، وأبو عبد الله اللوشي، والحسن بن أبي النصر الدباغ، وقد استمر الزجل حتى آخر أيام الوجود العربي في الأندلس، ثم أخذت دائرته بالاتساع حتى انتشر في كثير من البلدان المغربية والمشرقية، واستقر في بلاد الشام، حيث تطوّر الزجل وتبلورت

أشكاله وأوزانه حتّى صار على ما هو عليه اليوم في لبنان، وتشكلت الفرق الزجلية التي تعنى بهذا النوع من الفن الشعبي، ولسهولته على التفاعل مع اللهجات الشعبية المحكية، بعد أن انتقل هذا الفن من الأندلس إلى المغرب العربي، ومنه إلى المشرق العربي، وبلاد الشام، حيث شهد تطويراً في أنواعه.

وقد انتشر الشعر الزجلي بشكل واسع في لبنان وفلسطين والأردن وسورية، الذي يعتمد بالأساس على الغنى الفكري واللغوي وسرعة البديهة. وفي هذا المجال يقول الأديب مارون عبود في كتابه (الشعر العامي): "لا يُعرَفُ شعبٌ كالشَّعبِ اللبنانيِ يمتلك ثروةً ضخمةً وفنوناً مُتعدِّدةً مِن ألوانِ الشِّعرِ الشَّعْبي، ولعلَّ في طبيعةِ لبنانَ الساحِرة، وفي لغتِه العاميَّةِ المُوسيقيةِ، يَكمُنُ سرُّ انتشارِ هذا اللَّون وازدهارِه. وإنْ كانَ الشعرُ الشعبيُّ نتيجةً طبيعيةً لظهورِ اللغةِ العاميَّة، فإنَّه مِنَ الثابتِ أنَّ تطوُّرَه في لبنانَ كانَ بتأثيرِ الألحانِ السريانيةِ الكَنَسيَّة". وهنا يَرصُدُ (مارون عبود) أبعاد هذهِ الظواهر اللغوية في القريةِ اللبنانيَة، فيُطلِعُنا على ثقافةِ "الأمثالِ" فيها، وبراعةِ أبناءِ القُرى في تشكيلِ الحوادثِ والمُناسبات في كلمات مُوجَزة تُعبِّرُ عن مَكْنوناتِ نفوسِهم، وكذلكَ يَرصُدُ

ليالِيَ أبناءِ القُرى التي تَحمِلُ الكثيرَ مِنَ الأهازيجِ والأَفراحِ والمُناسَباتِ السَّعيدة، غيرَ أنَّها لا تَخلُو مِنَ المآتِمِ والساعاتِ الحَزِينة.

ويضيف الأديب مارون عبود: ليس الزجل الذي نعجب به ونهتز لسماعه ابن أمس، فهو ليس جديداً أو طارئاً، فالزجل اللبناني عريق، دوَّنه تاريخنا منذ خمسمائة سنة، (...) استمدَّ توقيعه من لغته الأولى – السريانية – وخلَّف للأجيال هذا الوزن، تراثاً أو أساساً لشعرنا العامي الذي ارتقى إلى ذروة الفن الأدبي".

أغراض الزّجل وأبرز الزجالين

يؤكد بعض الأدباء والكتّاب أن "جذور شعر الزجل تعود إلى القديس مار أفرام السرياني الذي عاش في القرن الثالث الميلادي وهو من وجد الوزن الأفرامي في الزجل أي (القرّادي) وأنشده، وورث عن أستاذه مار يعقوب الوزن اليعقوبي في الزجل أي (المعنّى)، وقد شاع الزجل في الترانيم الكنسية في الكنائس الشرقية، وهذا النوع من الزجل ينتشر بشكل واسع في لبنان وشمال فلسطين وشمال الأردن وغرب سورية. وكان يعرف في سوريا بـ(القول)، وقائله (القوال)، وفي فلسطين، يسمونه (الحداء أو الحدادي) وعرف قائله بـ"الحادي"، وفي لبنان بـ(المعنّى).

القرادي: وهي لفظة من القَرَد أي لجلجة اللسان، ووزنها خفيف سريع وهي كثيرة الأنواع: العاديّ، المخمس المردود، المحبوك، المطبق، المغصوب، المرصود، كرج الحجل، طرق النمل، المرصع، المهمل، المنقّط، القلاب، المجزّم، و"القرادي والمعنّى يظلان العمود الفقري للزجل اللبناني عند شعراء الزّجل، الذي يشمل موضوعات في مختلف جوانب الحياة وتتنوع، من الإشادة بالجمال الطبيعي والحب والعلاقات الإنسانية، إلى التعليق على الأحداث الاجتماعية والسياسية، من غزل

ومدح، ورثاء، وحكمة، وحماسة، وهجاء، وفكاهة، ما يجعله مرآة تعكس الواقع الاجتماعي والثقافي للبنان.

وقد اخترق الزجل مرحلته الشفهية ليتحول إلى (نص مكتوب) ينشر في شكل دواوين مطبوعة، مما جذر تاريخيته واحقيته بالتواجد الملموس في المشهد الثقافي، وفي عام ٢٠١٤ تم إدراج الزجل اللبناني ضمن قائمة "التراث البشري غير المادي" لمنظمة اليونسكو.

والزجل يكون ارتجالياً وعفوياً على شكل مناظرة بين عدة زجّالين، وتكون أبياته مصحوبة بإيقاعٍ لحني لبعض الآلات الموسيقية، أشهرها المزهر والدف والدربكة.

وخلال ندوةٍ نظمها "مركز التراث اللبناني" في الجامعة اللبنانية الأمريكية (LAU) عام ٢٠١٥، حول الزجل اللبناني، قال الدكتور عدنان حيدر (وله أبحاث كثيرة في الشعر) في تعريف هذا الفن: "إذا كان الشعر يتميز بفتنة البيان، فالزجل يتميز بفتنة النَغَم".

بداية جوقات الزجل في لبنان

كانت جوقة شحرور الوادي الشاعر (أسعد الخوري الفغالي) (١٨٩٤-١٩٣٧) أولى الجوقات، والنواة التي انطلقت منها جوقات أخرى. تأسست في عام ١٩٢٨، وحافظت على وجودها، بعد وفاة مؤسسها في عام ١٩٣٨، كما حافظت على أعضائها الشعراء المؤسسين وهم: أمين أيوب، ويوسف عبد الله الكحالة، وإلياس قهوجي، ثم انضم إليها لاحقاً طانيوس عبده، وأنيس روحانا، وإميل رزق الله، وعلي الحاج، وبقيت تعمل حتى عام ١٩٧١، وهو تاريخ وفاة الشاعر علي الحاج. هكذا كانت ابتدأت جوقات الزجل في لبنان.

ومن شعراء الجوقات الزجلية في لبنان: رشيد نخلة (١٨٧٣ – ١٩٣٩) كان لقبه أمير الزجل، وأنيس الفغالي (– ٢٠٠٥)، و(جوزيف الهاشم) "زغلول الدامور" (١٩٢٥ – ٢٠١٨)، وزين شعيب (أبو علي) (١٩٢٤ – ٢٠٠٥)، ومحمد مصطفى (١٩٢٢ – ٢٠١٢)، وجان رعد، وموسى زغيب "أبو ربيع" (١٩٣٧ –)، وخليل روكز (١٩٢٢ – ١٩٦٢)، وطليع حمدان (أبو شادي) (١٩٤٤ –)، وادوار حرب، وجريس

البستاني "أبو عيد" (١٩٣٨ –)، وأسعد سعيد (١٩٢٢ – ٢٠١٠) وغيرهم.

بداية الزجل المكتوب والمدوّن كانت في القرن الثاني عشر للميلاد، كما يذكر جان دارك أبي ياغي في مقالة له نشرت في مجلة (الجيش) اللبنانية في (العدد ٣٥٨ – نيسان ٢٠١٥) بعنوان (الزجل اللبناني إلى ذاكرة العالم) "عندما نشر سليمان الأشلوحي (١٢٧٠ – ١٣٣٥)، من بلدة أشلوح في عكار، قصيدته عن نكبة طرابلس، التي سقطت في أيدي المماليك العام ١٢٢٨، ويقول مطلعها:

يا حزن قلبي، وما يخلّي من أحزاني

والقلب من الحزن شاعل بنيراني...

بعد العام ١٤٥٠، تعرَّفنا إلى جبرائيل القلاعي (١٤٥٠– ١٥١٦). هذا المطران الذي كتب الزجل موضوعاً وتأريخاً تحت عناوين مختلفة، وقد بلغت زجلياته أكثر من ٢٥ مطوّلة، تتعدَّى أبياتها الخمسة آلاف بيت من الشعر، وقد تطرَّق فيها إلى المواضيع الدينية والاجتماعية

والتأريخية والوطنية، كما جاء في "موسوعة الشعر العامي اللبناني" للشاعر روبير خوري (٢٠٠٦)".

وفي منتصف القرن الثامن عشر، برز أدباء وشعراء كتبوا الزجل، على سبيل المثال لا الحصر: رومانوس رعد حنيني (١٨٠٠ – ١٨٤٥)، وردة نقولا الترك (١٧٩٧ – ١٨٧٤)، يوسف الحاج متى المعلوف (١٨٣٥)، الياس الفرّان (١٨٢٥ – ١٩٢١)، منصور شاهين الغريّب (١٨٤٨ – ١٩٢٠)، وغيرهم وصولاً إلى رشيد نخلة "أمير الزجل اللبناني" رشيد نخلة (١٨٧٣ – ١٩٣٩).

بعض جوقات الزجل اللبناني

بعد تأسيس جوقة شحرور الوادي (الشاعر أسعد الخوري الفغالي) التي تعتبر أولى جوقات الزجل في عام ١٩٢٨، تشكلت جوقات ازداد عددها عن الخمسين جوقة، أذكر بعضها:

– جوقة بلبل الأرز (١٩٢٨) اسسها وليم صعب.

- جوقة بلبل الأرز (١٩٣٦) أسسها أسعد سابا الملقب بـ"بلبل الأرز".

- الرابطة العاملية الزجلية (١٩٤٣) ضمت علي الحاج القماطي، ومحمد المصطفى، وعبد الجليل وهبي، وأسعد سعيد، وعبد المنعم فقيه.

- جوقة زغلول الدامور (١٩٤٤) أسسها الشاعر جوزيف الهاشم المشهور بـ"زغلول الدامور"، وضمت جوزيف الخويري، وطانيوس الحاج، زواكيم سعادة، وشارك في هذه الجوقة أسماء عديدة منها: خليل روكز، وزين شعيب، وجان رعد، وأسعد سعيد، وفرحان العريضي، وطانيوس الحاج، وموسى زغيب، وكميل زيادة، وأنطوان باسيل، وكميل شلهوب، وطليع حمدان، وادوار حرب، والياس خليل، وأديب محاسب، وفايز المغربي، وسمير عبد النور.

- جوقة الأرز: أسسها الشاعر حنا موسى سنة ١٩٤٤ ضمت شحادة الفغالي، وأنيس الفغالي، وخليل روكز، وزين شعيب.

- جوقة الجبل (١٩٤٥) أسسها خليل روكز، وضمت زين شعيب، وأسعد سعيد، وغنيم الزغبي، بعد ذلك تشكلت من: خليل روكز، ومحمد المصطفى، وأديب محاسب، وموسى زغيب، ثم ترك الجوقة محمد

المصطفى وبقي فيها جريس البستاني، وأنيس الفغالي، وموسى زغيب، وخليل روكز.

– جوقة أهل الإذاعة: تأسست في مطلع أيار ١٩٥٥ وقدمت حفلتها الأولى من الإذاعة اللبنانية بمناسبة عيد الشهداء وكانت تضم طانيوس الحملاوي (١٩١٢ – ١٩٩٦)، وأسعد السبعلي (١٩١٠ – ١٩٩٩)، وعبد الجليل وهبة (١٩٢١ – ٢٠٠٥)، وأسعد سابا (١٩١٣ – ١٩٧١).

– جوقة الشمال: أسسها في عام ١٩٦٣ الشاعر جورج الكفوري وضمت حنا سلوم، وجورج بشارة، وجورج أبو حبيب.

– فرقة الزجل: ألف أسعد سعيد فرقة الزجل سنة ١٩٦٩ وكانت تضم الشعراء: جان رعد، وخليل شحرور، وجورج بو أنطون، واستمرت هذه الفرقة إلى سنة ١٩٧٥ حيث توقفت بسبب الحرب.

– جوقة القلعة: بعد عشر سنوات على وفاة الشاعر خليل روكز (١٩٢٢ – ١٩٦٢)، في تشرين الثاني عام ١٩٧٢ قرر أعضاء جوقة خليل روكز تغيير اسمها إلى جوقة القلعة تخليداً لاسم خليل روكز،

حيث قام أبناؤه بتأسيس الفرقة، وفي عام ١٩٩٠ أعادت جوقة القلعة نشاطها بعد توقفها سنة ١٩٧٥ بسبب الحرب.

- جوقة ليالي لبنان: تأسست سنة ١٩٩٣ برئاسة الشاعر جان رعد وعضوية كل من رفعت مبارك، سليم الصايغ وجورج أبو أنطون.

- جوقة المسرح: تألفت سنة ١٩٧٣ برئاسة الشاعر انطوان سعادة وعضوية كل من أحمد جمُّول، والياس أبي راشد، وعادل خدّاج، وتوقفت سنة ١٩٧٥ بسب الحرب وانتقل مؤسسها سنة ١٩٧٨ إلى جوقات أخرى، وفي عام ١٩٩١ عاد اسم جوقة المسرح للنشاط الزجلي برئاسة انطوان سعاد وعضوية الياس خليل، وأحمد جمول والياس قاصوف. وكانت تتبدل فيها الأسماء إلا الشاعر الياس خليل الذي شكّل ثنائياً مع انطوان سعادة.

أما عمالقة الزجل اللبنانيين الذين كنا نتابع حفلاتهم التي كان ينقلها التلفزيون فأذكر منهم: أسعد سابا، وموسى زغيب، و(زغلول الدامور)، وزين شعيب (أبو علي)، وخليل روكز، وطليع حمدان، وأسعد السبعلي، وادوار حرب وغيرهم.

طه حسين والزجل اللبناني

مما يتم تناقله عبر وسائل إعلامية رواية عن عميد الأدب العربي طه حسين لدى زيارته إلى لبنان في خمسينيات القرن الماضي كما يلي: أن عميد الأدب العربي طه حسين زار لبنان فقيل له أن الزجل هو فن من فنون الشعر عند شعراء لبنان، ويكون مرتجلاً ودون تحضير مسبق، ودعوه لحضور حفلة زجل لفرقة (شحرور الوادي) التي كانت من أشهر جوقات الزجل آنذاك، وحينما دخل طه حسين قاعة الحفل رحب به عريف الاحتفال بحرارة قائلاً: أهلا وسهلا بطه حسين، التقط الشاعر شحرور الوادي هذه الجملة وارتجل على الفور قائلاً:

اهلا وسهلا بطه حسين.. ربي اعطاني عينتين

العين الواحدة بتكفيني.. خدلك عين وخلي عين

وارتجل الشاعر علي الحاج قائلاً:

اهلا وسهلا بطه حسين.. بيلزم لك عينين تنين

تكرم شحرور الوادي.. منك عين ومني عين

وإذ بأنيس روحانا يرتجل:

لا تقبل يا طه حسين.. من كل واحد تاخد عين

بقدم لك جوز عيوني.. هدية لا قرضة ولا دين

ورد الشاعر الرابع طانيوس عبدو مرتجلاً:

ما بيلزملو طه حسين.. عين ولا اكتر من عين

الله اختصو بعين العقل.. بيقشع فيه عالميلين.

من أشهر شعراء العامية في مصر

أشتهر بعض كُتاب وشعراء العامية في البلدان العربية، بكتابة القصائد العامية التي جسدت هموم الناس، وتناولت حياتهم اليومية بكامل جوانبها الحسية، وكان مولد هذا النوع من الشعر في مصر على يد الشاعر بيرم التونسي (١٨٩٣ – ١٩٦١)، وصلاح عبد الصبور (١٩٣١ – ١٩٨١)، وفاروق جويدة (١٩٤٦ –)، محمد يونس القاضي (١٨٨٨ – ١٩٦٩)، وصلاح جاهين (١٩٣٠ – ١٩٨٦)، وفاروق شوشة (١٩٣٦ – ٢٠١٦)، وعبد الرحمن الأبنودي (١٩٣٨ – ٢٠١٥)، وأحمد فؤاد نجم (١٩٢٩ – ٢٠١٣)، وفؤاد حداد (١٩٢٧ – ١٩٨٥)، وسيد حجاب (١٩٤٠ – ٢٠١٧)، وسمير عبد الباقي (١٩٣٩ –)، وعشرات غيرهم.

تاريخ القصة عند العرب

بداية لابد من القول إن القصة عند العرب ليست جديدة، ومن الناحية العملية يمكن القول إن الصحافة المقروءة في العصر الحديث ومنذ بداية صدورها كانت الأساس لسرد القصة وكتابتها، حيث نجد أن الخبر المكتوب عن موضوع ما، هو عبارة عن قصة قصيرة بأسلوب موجز لطرح قضية ما، وفي الوقت نفسه تعبيراً عن رأي وإحساس الكاتب ينقلها للقاريء الذي يتفاعل معها سلباً أو إيجاباً.

إن المتأمل فيما ظهر من ألوان القصص في العصر العباسي المترجم منه مثل (كليلة ودمنة)، و(ألف ليلة وليلة)، وما جاء في قصص (البخلاء) للجاحظ، وكذلك ما سبقه من قصص في العصر الأموي خصوصاً قصص الحب والتقدير كقصة جميل بثينة، ومجنون ليلى، وكثير عزة، يرى أن القصة العربية في طبيعتها وأشكالها تتشابه مع بداية القصص عند الأمم الأخرى.

وإذا عدنا إلى التاريخ المقروء نجد أن الكتب الدينية السماوية أيضاً فيها سرد قصصي وبذلك يمكن اعتبارها بدايات كتابة القصة بعناصرها

المعروفة حالياً، أذكر منها قصة جميلة عنوانها (لوعة الشاكي ودمعة الباكي) لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (١٢٩٦ – ١٣٦٣م)، التي تم تحقيقها ونشرها في المطبعة الرحمانية بمصر عام ١٩٢٢م، وتُعد من أوائل القصص القريبة الشبه بالقصص العربية الحديثة، وغيرها من الروايات التي يمكن اعتبارها البداية العربية الأولى لكتابة القصة وأسلوبها، التي بدأت تشق طريقاً إلى الحكاية والقصة والرواية الشعبية "عبر النقل أحياناً مثل (كليلة ودمنة) الذي ترجمه عبد الله بن المقفع (٧٢٤ – ٧٥٩م) في العصر العباسي من الهندية إلى العربية، وكتاب (ألف ليلة وليلة) الذي تُرجِم إلى عدّة لغات عالمية، وطبع بالعربية لأول مرة في ألمانيا سنة ١٨٢٥م، ولم يُعرف حتى الآن من هو مؤلفه، أو التأليف مثل (التبر المَسبوك) للإمام أبو حامد الغزالي (١٠٥٨ – ١١١١م)، أو (سراج الملوك) لأبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطُرطُوشي (٤٥١هـ – ٥٢٠هـ)، أو (المقامات) لأبي البديع الهمذاني (٩٦٩ – ١٠٠٧م)، وأنوه إلى أن الشائعات التي كانت تُسرد وتُروى ضد نظام ما، مثلما حدث عبر التاريخ ضد الخلفاء الراشدين، وضد حكام خلال حقبة الفتوحات الإسلامية وما بعدها وعلى سبيل المثال، التي كانت تنتشر في الأندلس ضد الحكام والأمراء (ملوك

الطوائف) كما ضد عدد من السلاطين والملوك والرؤساء العرب، أو ضد شخص ما، سوى قصص قصيرة وإن كانت ملفقة وغير صحيحة، ولكنها تدخل ضمن مجال القص والسرد.

أما الأنواع الأدبية التي تهتم بالقصة وأسلوبها ومسمياتها والفارق بينها، فيمكن أن أوجزها بالتسلسل التالي كما ذكرها مؤسس ورئيس تحرير موقعي "القصة السورية" و"المحيط للأدب"، الأديب والروائي يحيى الصوفي في دراسة له تحت عنوان "كل شيء حول القصة العربية، منشأها – أصولها – أدواتها – كتابتها"، نُشرت على موقع (القصة السورية) بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٢٥.

الحكاية: ومنها الملحمة والأساطير وهي روح الشعب المعبرة عن تطلعاته وأحلامه وتعكس صورة عن طموحاته وأمانيه (تعتمد بالإضافة لعناصر القصة على الخيال وتعدد الشخصيات وعدم محدودية المكان والزمان).

والقصة: ويتفرع عنها القصة القصيرة والقصيرة جداً "وهي محدد بعناصرها المعروفة من الزمان والمكان والشخصية والحبكة والحوار والسرد والعقدة والحل".

والرواية: تقوم على تعدد الأجزاء والفصول والأحداث والشخوص والأزمنة والأمكنة.

وأخيراً المسرح: (وهو ينفرد بتكثيف الحوار بالرغم من أنه يحتوي كل العناصر الموجودة في الأنواع الأدبية الأخرى).

هذا طبعا بالإضافة للشعر الذي هو أساس كل الأنواع الأدبية عند العرب وهو يحتملها كلها باختلاف أزمنتها وأمكنتها وشخوصها وواقعيتها أو غرقها بالخيال.

أما النقاد بشكل عام فقد أطلق كل منهم مسمى على كل شكل من أشكال القصة ونوعها:

١ – الرواية: هي أكبر الأنواع القصصية حجماً.

٢ – الحكاية: وهي وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الحاكي قواعد الفن الدقيقة.

٣ – القصة القصيرة: تمثل حدثاً واحداً، في وقت واحد وزمان واحد، يكون أقل من ساعة (وهي حديثة العهد في الظهور).

٤ – الأقصوصة: وهي أقصر من القصة القصيرة وتقوم على رسم منظر.

٥ – القصة: وتتوسط بين الأقصوصة والرواية ويحصر كاتب الأقصوصة اتجاهه في ناحية ويسلط عليها خياله، ويركز فيها جهده، ويصورها في إيجاز.

القصة ومراحل كتابتها

"مرَّ أسلوب كتابة القصة عند العرب بعدة مراحل بعد أن كانت تروى بداية بالشعر ومن ثم في القص التاريخي أو الأسطوري كما في كما في ملاحم (عنترة) و(الزير سالم) و(سيف بن ذي يزن) و(حمزة البهلوان) و(الأميرة ذات الهمة) و(الظاهر بيبرس) و(تغريبة بني هلال)، أو في مسرحية (مجنون ليلى) لأحمد شوقي، وقد "كثرت المسميات للدلالة والتعريف بالأنواع الأدبية الكثيرة التي عنت الحكاية أو القصة ورصدتها ونقلتها وتوسعت فيها.؟! ابتداء من الخبر كحدث ينقل لذاته كأخبار الحروب والغزوات (داحس والغبراء)، (غزوات الرسول)،

(حرب البسوس)... الخ، أو لنؤرخ به الحدث كـ(كتابة التاريخ) مروراً بالرواية (التي تقوم على العناية بالشخوص وتطورها مع وصف موسع للزمان والمكان) وانتهاء بالمسرحية (التي تهتم بالحوار بشكل خاص)".(٢١)

وأذكر هنا من خلال مطالعاتي على مراحل كتابة القصة وأنواعها الأدبية أنه منذ بدايات القرن العشرين تقريباً مرّت القصة بمراحل عديدة مما أثر على بنيتها وحبكتها وعقدتها خاصة بعد الثورة البلشفية الروسية، وبدء إصدار القصص في أمريكا وفي أوروبا بشكل عام في المرحلة الزمنية نفسها تقريباً، منها على سبيل المثال: مرحلة الترجمة من الأدب الغربي بشكل عام وبروز مرحلة كتابة القصة القصيرة، مما ترك أثراً على كتابة القصة وأسلوبها لدى أجيال القصاصين والكتّاب العرب.

وفي هذا الصدد كتب العديد من الأدباء الكتّاب العرب حول تحديد مفهوم القصة القصيرة وهل هي جنس أدبي تحسب على الأدب أم أنها شطحات قلم، خاصة وأنه ظهر لاحقاً تعبير وأسلوب جديد لذلك النوع من القصص التي سمّوها (قصة قصيرة جداً)، وقد وجد هؤلاء الأدباء

والكتّاب مجالاً رحباً وخصباً للإسهام في أصول كتابة القصة العربية ومحاولة صياغة أسلوب قصٍ عربياً جديداً ضمن شروط موضوعية لا تبتعد عن الأصالة والترابط الإنساني لمواكبة المؤثرات الأوروبية والأمريكية آنذاك والتي تركت بلا شك تأثيرها الكبير على هذا النوع من الفن الأدبي في الساحة العربية خاصة في لبنان ومصر والعراق وسوريا، حيث "كانت الكتابة القصصية والروائية في الساحة العربية في ذلك الوقت تتأرجح ما بين النضج الفني ومحاولات إثبات تواجدها كجنس أدبي له خصوصيته ومذاقه وتوجهه".(٢٢)

وبفضل كتابات العديد من الأدباء والكتّاب والشعراء حول النقد الأدبي التي كانت تثار على صفحات المجلات المصرية آنذاك مثل (الرسالة) و(المقتطف) و(الهلال) حيث ساهموا في نهضة وتطور القصة والرواية العربية في بداية بواكيرها الأولى، أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمد حسين هيكل ومصطفى لطفي المنفلوطي وطه حسين وعبد القادر المازني وتوفيق الحكيم وعباس محمود العقاد ونجيب محفوظ وغيرهم في مجال القصة والرواية، إبداعات أثرت هذا الفن بنصوصها وأعمالها

التي أصبحت هي الإرهاصات والركيزة الأولى في هذا المجال للأجيال التي جاءت بعد ذلك.

وفي هذا الصدد كتب عباس محمود العقاد في افتتاحية مجلة (الهلال) عدد شهر أغسطس/آب ١٩٤٨ تحت عنوان (قصة القصة) يقول "ولدت مع الأسرة، ودرجت مع القبيلة، ونمت في المجتمع القديم وبلغت أشدها في المجتمع الحديث، وكان موضوعها أبداً هو أقدم موضوع وأخلد موضوع، شغل به الناس وتشوقوا إلى سماع الحديث فيه.. وهو – أو هي مواضيع – الحب والبطولة وعجائب الأخبار وخفايا الدنيا"، (...) كما كان للشرقيين السبق في ميدان القصة بعد زوال دولة الفراعنة، فظهرت القصة في الإسكندرية وسوريا، قبل أن تظهر في آسيا الصغرى وسائر بلاد الإغريق، وإن كان الإغريق عرفوا الملاحم الشعرية قبل ذلك، ولم تزل قصب السبق في أيدي الشرقيين إلى أوائل القرون الوسطى، فاستمع الناس في مصر وسوريا وفارس إلى الرواية والمحدث، قبل أن تقرأ القصة في أوروبا ببضعة قرون، وبدأت سلسلة ألف ليلة وليلة في القرن العاشر للميلاد، ولم يؤثر نظير لها في الغرب قبل القرن الحادي عشر (أحاديث الغرام) للإيطالي فرنسسكو بربرينو،

ولعله كما يدل عليه اسمه Barbareno من أصل مغربي أو من بلاد البربر على الإجمال، وتلاه بوكاشيو بأصابيحه العشر (الديكامرون) على نسق ألف ليلة، مستبدلاً الأصباح بالمساء، ثم انتقلت قصبة السبق في هذا المضمار من يد الشرق إلى يد الغرب بعد القرن الخامس عشر، ولكنه كان كانتقال الكتاب من يد المعلم إلى يد التلميذ، لأن سرفانتس صاحب (دون كيشوت) – وأكبر قاص في القرن السادس عشر على الإطلاق – قد عاش زمناً في إفريقيا الشمالية، وردد كثيراً من الأمثال العربية في قصته الكبرى التي نعى بها عهد الفروسية، ولكنه مبتكر من جانب الموضوع أو جانب القدرة على خلق الشخصيات، ويقال أن دانيال ديفو أكبر القصاصين الإنجليز بين القرن السابع عشر والثامن عشر، قد وضع روايته الشائقة عن (روبنسون كروزو) على نسق (حي ابن يقظان)، أما القصة في طورها الأخير، فهي بحق وليدة المجتمع الأوربي الحديث، ولم يكن من المستطاع أن تظهر قبل ذلك، ففي القرن الثامن عشر ولدت القصة الحديثة، وأصبح القصص فنياً مستقلاً عن سائر الفنون، أو أصبح موضوعاً جديراً بالقراءة لغير التسلية وتزجية الفراغ، لأنه اشتمل على الدراسات النفسية والدراسات الاجتماعية والدراسات التاريخية، وتخصص له كتاب

مبرزون، وكان للقصة في نشأتها الأولى من أقدم العصور، كبرياؤها التي تلازم كل شباب، فكانت لا تتنزل إلى الكلام عن أحد من غير زمرة الأبطال والأمراء، ولا تتنزل إلى الحكاية عن حادث غير حوادث العجائب والغرائب، وقلما عنيت بحديث في الحب إلا أن يكون حباً بين أمير وأميرة، أو بين شموس وأقمار".(٢٣)

وفي العدد الخاص بالقصة من مجلة (الهلال) الصادر في يوليو/تموز عام ١٩٤٩ كتب العقاد مقالة حملت عنوان "القصة والخرافة" يقول فيها: "اسم (القصة) عندنا أكرم لهذا الفن من معظم أسمائها في اللغات الأوربية، إن لم يكن أكرم من جميع أسمائها، فهم يطلقون على الموضوعات القصصية كلمة واحدة هي كلمة "فكشن" أو Fiction باللغة الإنجليزية، مع تصحيف يسير في نطق الكلمة باللغات الأخرى، ومادة الكلمة في أصلها لا تدل على شيء غير معنى التلفيق والتزوير، وليس من كاتب في العصر الحديث يرضى لمؤلفاته أن تنعت بالتلفيق والتزوير، بل لا يرضى لها أن تنعت بمجرد المحاكاة والتقليد، وهما معنى من معاني التزييف في بعض الأحوال، وعندهم كلمة أخرى تطلق على الرواية وهى كلمة (رومان) Roman منسوبة إلى اللهجات

"الرومانية" المستحدثة في اللغة اللاتينية القديمة في أقطار أوروبا الجنوبية، وقد جرت عادتهم في تلك الأقطار أن يلفقوا القصص بلهجاتهم المستحدثة، وهى لهجات عامية بالقياس إلى اللاتينية الفصحى، ويديرون موضوع القصص فيها على أبطال الفروسية في عهد اللاتين، وعهد الرومان الأولين، ويملأونها بالغرائب والمبالغات والأماني الكاذبة التي يطلقون عليها أحياناً (بناء القصور في الهواء)، وقد صنعنا نحن في العربية مثل ذلك حين ألفنا بالعامية أقاصيص الإغراب والإعجاب بأبطال العرب الأقدمين، كالزير سالم، وسيف بن ذي يزن، وعنترة العبسي، وغيرهم ممن غبروا قبل ظهور اللهجات العامية، والقصة بهذا الاعتبار طبقة لا تتجاوز في القيمة الفنية طبقة هذه الملاحم التي يرويها شعراء (القهوات البلدية) لمن هم في الغالب أميون لا يكتبون ولا يقرأون، وأصح كلمة عربية لترجمة (الفكشن) و(الرومان) بمعناهما هذا هي كلمة (الخرافة)، أما اسم (القصة) بالعربية، فهو على خلاف ما يسبق على الخاطر، يفيد معنى غير معنى التوهم وخلق الحوادث على سبيل المحاكاة، أو الحكاية!. ومعناه مأخوذ من قص الأثر، لأن الذي يقص الأثر يتتبع أخبار القوم ويعرف مذهبهم في الأرض ومقامهم فيها، فهي مادة بحث وتحقيق، وليست

مادة توهم وتلفيق، ومن ثم كان (القاص) عند العرب هو من يأتي بالقصة على وجهها، كأنه يتتبع معانيها، أو كأنه يتتبع (قاص الأثر) أنباء القوم في عالم المكان، وفي القرآن الكريم عن أم موسى حين فقدته: (وقالت لأخته قصيه)، أي أبحثي عنه، فالقص من هذه المادة هو المعرفة الصحيحة عن بحث وهداية، وليس هو التوهم والتخيل للتلفيق والاختلاق".

وحول تعريف القصة قال العقاد أيضاً رداً على تعليق لتوفيق الحكيم حول (اتجاهات القصة العربية): "أعتقد أن القصة يمكن أن تقسم إلى قسمين: اجتماعي، وإنساني، ففي القسم الأول يكون أبطال القصة ممثلين للمجتمع الذي يعيشون فيه، وفي القسم الثاني يكون أبطالها صوراً عامة شائعة للمشاعر الإنسانية في كل زمان وكل مكان، وعندي أن القصص الإنسانية مثل (هاملت) وغيرها من قصص شكسبير، وقصة (أهل الكهف) للأستاذ توفيق الحكيم أكبر نفعاً وأبقى أثراً، وفي الاستطاعة ترجمتها إلى جميع اللغات، وأن تقبل عليها وتفيد منها مختلف الطبقات".

بداية القصة القصيرة

أما بداية انتشار القصة القصيرة في البلاد العربية فتعود إلى منتصف أربعينات القرن العشرين حيث نظمت مجلة (الهلال) المصرية مسابقة للقصة القصيرة وقد اشترك عباس محمود العقاد في لجنة التحكيم تلك ونشرت (الهلال) نتائج المسابقة في عدد خاص صدر في أغسطس/آب ١٩٤٨، كان الغرض من تلك المسابقة البحث عن أقلام جديدة ومواهب شابة تدفع بدماء جديدة في مجال القصة القصيرة، وكانت شروط المسابقة هي أن تكون القصة شرقية عربية تدور حول الوطنية والبسالة ولا يزيد عدد كلماتها عن ١٥٠٠ كلمة، وقد اشترك في المسابقة ٢٧٥ كاتباً، وتكونت لجنة التحكيم من: الأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور طه حسين والسيدة أمينة السعيد ومحمود تيمور بك والسيدة بنت الشاطئ والدكتور أحمد زكي بك والأستاذ طاهر الطناحي، وقد فاز بالجائزة الأولى في هذه المسابقة الأديب محمد عبد الحليم عبد الله عن قصته (ابن العمدة) وكانت قيمة الجائزة خمسين جنيهاً، وفاز بالجائزة الثانية الأديب سليم اللوزي عن قصته (البطل) وكانت قيمة الجائزة ثلاثين جنيها".(٢٤)

هكذا ابتدأت القصة القصيرة تشق طريقها وتأخذ مداها ضمن مجالات الأدب العربي، وهذا لا يعني بتاتاً بأن القصة لم تكن موجودة قبلاً بل كانت محكية ومتداولة شعراً أو نثراً أو نصوصاً تعتمد السجع وتناسق اللحن وتوافق نهايات الجمل، وإلى زمن قريب كانت التربية عبر القص تعتمد في أساسها على الشعر (وربما لازالت موجودة في بعض البلدان العربية).

ومرة أخرى وبعودة إلى تاريخ الأدب العربي نجد أن العرب كأمة جمعية أول من قالت: (يُحكى أن)، و(زعموا أن)، وهذه الكلمات ابتدعها العرب الأوائل للتعبير وبقوالب متعددة عن القص مثل: (قال الراوي)، و(كان يا كان)، وما إلى ذلك من المقدمات التي كان يبدأ بها القاص حديثه القصصي، عندما كان يقص ويسرد الراوي أو الحكواتي حكاية أو قصة ما، وفي هذا الصدد يذكر الدكتور شوقي ضيف، الذي أفاض الحديث حول هذا الموضوع في كتابيه (تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي)، و(الفن ومذاهبه في النثر العربي) فيقول: "من المحقق أنه وجدت عندهم (أي عند العرب) ألوان من القصص، والأمثال، وسجع الكهان، ومن المؤكد أنهم كانوا يشغفون بالقصص شغفاً شديداً،

وساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة في الصحراء، فكانوا حين يرخي الليل سدوله يجتمعون للسمر، وما أن يبدأ أحدهم في مضرب خيامهم بقوله: (كان ياما كان) حتى يرهف الجميع أسمعاهم إليه".(٢٥)

ويذكر الناقد الدكتور الطاهر أحمد مكي وجود القصة في أدبنا العربي القديم: "فبتصورنا أن القصة موجودة في التراث العربي، لا بمواصفات القصة الفنية الحديثة بالطبع، ولكن بمميزات خاصة فرضتها طفولة هذا الفن وبداياته، ولا عيب في ذلك، فالقصة الأوروبية الحديثة نشأت في بداياتها في العصور الوسطى متأثرة بأصول عربية واضحة كقصص (السندباد)، و(كليلة ودمنة)، و(حي بن يقظان)، بل ووجدت أشكال مختلفة للقصة في التراث العربي، ولكل شكل مميزاته الخاصة، فالقصة في السير تختلف عن القصة في بخلاء الجاحظ، وهذه تختلف عن القصة في المقامات.(٢٦)

نستخلص مما تقدم أن تاريخ القصة عند العرب يعود إلى أكثر من ألفي عام على أقل تقدير، ولكن ليس على أساس المقاييس الغربية المستحدثة، وعلى هذا فأن أدبنا العربي القديم في كل عصوره ومنذ العصر الجاهلي وما تلاه من عصور، كان حافلاً بالقص والرواية،

ومن شاء أن يقف على كثير من القصص عند العرب فليرجع إلى كتب التراث أمثال: (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي، و(بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) لمحمود شكري الألوسي، و(الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني، و(المستطرف في كل فن مستظرف) لشهاب الدين الأبشيهي، و(المختار من نوادر الأخبار) لمحمد بن أحمد المقرئ الأبياري، وغيرها الكثير، ليجد صفحاتها مليئة بكثير من القصص التي تتحدث عن العرب في الجاهلية وما قبل، وفي صدر الإسلام.

أما المسرحيات في الأدب العربي التي اشتهرت فأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: (مجنون ليلى)، و(مصرع كليوباترا) لأحمد شوقي، و(قيس ولبنى) للشاعر عزيز أباظة من مصر، والمسرحيات الشعرية لخالد الشواف من العراق، وهناك ميل عند الأدباء إلى قصر المسرحية على النثر.

الأدب العربي في أستراليا

قبل الانطلاق للكتابة عن الأدب العربي في أستراليا، لابد من تعريف الأدب ودور الأديب، إنَّ الأَدب تعبير صادق عن مشاعر المرءِ وأَفكاره وتطلعاته وآماله، وهذه العوامل تتأثر إلى حد كبير بطبيعة البيئة التي يعيش فيها الأَديب، وبالأَحوال المعيشية والعقائدية والحضارية والأَنظمة والتقلبات السياسية التي يتفاعل معها، فالأدب يتلون ويتكيف مع البيئة التي تحتضنه ويعيش فيها. أما الأديب فيجب أن يكون مثقفاً واعياً لحركة التاريخ ليس بما يكتبه ويقوله في المناسبات فقط، إنما دوره أشد عمقاً في التعبير ليس عما يجيش في أعماقه، بل في التعبير عن معاناته التي هي معاناة شعب، وبذلك يغدو أكثر فهماً لذاته وأوعى لمعاناة الشعب، ناقلاً أحاسيسه إلى المجتمع، ليسمو به في علياء المجد، ولتنطلق حركة التغيير التاريخية.

هذا ما فعله أولئك الأدباء الواعون الذين هاجروا إلى الأمريكيتين من سوريا ومصر سابقاً، ومن لبنان الذي كان جنة من جنان الله على الأرض، حاملين معهم حب الوطن ورغبة الانتصار، فأبدعوا في جمالياتهم بتحف فنّية أدبية راقية. كذلك فعل اللبنانيون الذين أتوا إلى

أستراليا حاملين معهم المعول والقلم، المعول للبناء والقلم للكتابة، مكرسين عمق امتدادهم الحضاري من أعلى قمة المجد، ليتمازجوا مع ثقافات وحضارات انتقلت إلى المجتمع الأسترالي المتعدد الثقافات، فزيّنوا بها تاريخ أدب المهجر في أستراليا، منهم من كان أصيلاً فكرّس جهده لنقل التراث العربي من أجل تواصل العلاقات الإنسانية وبناء المجتمع الجديد، ونقل الأمانة إلى الأجيال القادمة، لأن الانتماء للثقافة العربية والمحافظة عليها يبقى فخراً ما بعده فخر لمن يفتخر بأصله ونسبه، ومنهم من كان طارئاً فأهمله التاريخ رغم ما قدمه من عطاءات، لأن أصالة الحضارة العربية تبقى رافداً أساسياً من روافد الحضارة البشرية وتقدمها، مهما اختلفت حولها الآراء، هكذا كانت الحضارة العربية لمن قرأها وعاشها، عِلماً وثقافة، وتاريخاً ماضياً وحاضراً، وستبقى بآدابها وعلومها المختلفة، أنها هي التي حافظت وحفظت تراث العالم القديم، وأضافت له إبداعات تناقلها العالم عبر العصور، وقد انصهرت في أستراليا الثقافات المتعددة وتفاعلت في البيئة الأسترالية، لذلك نجد أن أَدب المهجر في أستراليا أَدباً غنياً مُتميِّزاً بمواده وثقافته وخبرته.

وبعد وصول المهاجرين اللبنانيين إلى ولايتي نيو ساوث ويلز (سيدني)، وفيكتوريا (ملبورن) في أستراليا، أصدروا الصحف، كما أصدروا كتباً تحمل نتاج أفكارهم في مختلف مجالات الأدب والفكر في موطنهم الجديد، وكان هاجسهم الحرية، وصيانة حقوق المواطن، واستقلال الوطن، ومن خلال تلك الصحف انطلقت رسالة الحرية والتحرر، نيابة عن الشعب المكتوي بسياسات القمع، والترويع، والسجن، والتهجير، والقتل التي عبّر عنها الشاعر نزار قباني في قصيدة (من مفكرة عاشق دمشقي) بقوله:

ماذا سأقرأ مِنْ شِعري ومِنْ أدبي؟

حوافرُ الخيل داسَتْ عِنْدَنا الأدَبا

وحاصَرَتْنا.. وآذتْنا.. فلا قَلَمٌ

قالَ الحقيقةَ، إلاَّ اغتيلَ أو صُلِبا.

ولابد من التنويه هنا إلى أن تاريخ الصحافة العربية الورقية في أستراليا منذ نشأتها ١٩٥٧، ارتبط بالأدباء والشعراء، الذين كان لهم الدور الأبرز في وضع نواتها، فقد كانت الصحافة في بدايتها، وسيلة لنقل

الأدب والشعر والثقافة، والتعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية، مما أثرى مفهوم الأدب وسهّل وصول كلام الأدباء إلى جمهور القراء. وقد شجعت الصحف والمجلات العربية في أستراليا، حركة الإبداع الفكري لدى أبناء الجالية، فنشرت لهم كتاباتهم وقصصهم وأشعارهم، مما أبرز عدداً من الشعراء والقصصيين من المهاجرين الجدد، من جيل فترة الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، الذين بدورهم نشروا نتاجهم لاحقاً في كتب صدرت في أستراليا، وفي بيروت وفي القاهرة، وفي بعض عواصم البلاد العربية الأخرى.

على الرغم من محاولات غير مجدية عملياً، قام بها بعض الأفراد بإصدار نشرات ثقافية لم تستمر، فبقيت رسالة الفكر والأدب وقفاً على أهل القلم الذين ينشرون نتاجهم الفكري في الصحف والمجلات التي تصدر في هذه الديار. وعلى الرغم من ذلك نجد أن بعض الشعراء، والكتّاب، والصحافيين ينشرون نتاجهم الفكري في مطبوعات مختلفة، متخصصة في مجالات الأدب والثقافة، التي تصدر في بعض البلدان العربية أو الأوروبية، معتمدين على جهودهم الفردية، من خلال علاقاتهم وصلاتهم الشخصية، بأديب أو صحافي أو رئيس تحرير في

مطبوعة ما في أي من تلك البلاد، وطباعة نتاجهم الأدبي في الشعر والقصة على نفقتهم، في الوقت الذي بدأ بعضهم بإنشاء مواقع خاصة به في شبكة الانترنيت، من أجل نشر نتاجه الفكري عالمياً، في محاولة منه للاتصال بالقارئ الآخر في عصر الانترنيت.

ومع قدوم موجات المهاجرين إثر الحرب في لبنان (١٩٧٥ – ١٩٩٠)، شهد عقدا السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، أكبر حركة إصدار صحف ومجلات عربية في أستراليا، بسبب الهجرات العربية المتتالية، ليس من لبنان فحسب بل ومن العراق، وفلسطين، وسوريا، ومصر، والسودان، وإرتريا، والصومال وغيرهم من البلدان العربية، ومع ازدياد أعداد المهاجرين من لبنان وسوريا وفلسطين منذ سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٥٧، الذين كان الحنين يدفعهم إلى البحث عن تتبع أخبار وطنهم الأم تارة في وسائل الإعلام المسموعة، وتارة أخرى من خلال الصحف التي كان يحملها بعض القادمين الجدد، أو التي كانت تصل بالبريد العادي، نجد أن هؤلاء المهاجرين اللبنانيين حملوا معهم أحلامهم، ومأكولاتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وصحفهم، وثقافتهم، فبرزت فكرة إصدار الصحف التي ابتدأت مع صدور صحيفة (الوطن

والمهجر) بالعربية في سيدني عام ١٩٥٧، التي كانت تنقل أخبار لبنان وبعض أخبار البلاد العربية، وتوقفت عن الصدور عام ١٩٦١، تبعتها جريدة أسبوعية حملت اسم (القمر) التي صدرت في كانون الأول/يناير ١٩٦٢ أيضاً في سيدني، وكانت أول مطبوعة تصدر باللغتين الإنكليزية والعربية في أستراليا، وقد توقفت الجريدة بعد أن صدر منها ١٢ عدداً. ومنذ بداية الستينات صدرت عشرات الصحف والمجلات، التي برز من خلالها أسماء كتّاب وشعراء وأدباء في مختلف أنواع مجالات الأدب لاحقاً، ترك بعضها أثراً في مجالات الشعر، وتأليف الروايات القصصية بأنواعها، والكتب التاريخية والتعليمية، باللغتين العربية والإنكليزية.

والجدير بالذكر أن الحكومات الأسترالية في الولايات كما على الصعيد الفيدرالي، تقدم منحاً مالية كبيرة لبعض الذين يريدون طباعة ونشر نتاجهم الفكري ضمن شروط مجلس الفنون، إذا وجد الكاتب من يدعمه في مكان ما، والموافقة على الشروط تكون على الروايات، والقصص القصيرة والمسرحيات، والأعمال الفنية، مثل معارض الرسوم واللوحات، التي يخترعها مؤلفها بدلاً من سرد الأحداث الحقيقية، وغير ذلك من

أعمال بما في ذلك قصص الخيال، والإثارة، والرومانسية، وكذلك الكتب غير الخيالية، الواقعية، بما في ذلك كتب المذكرات وما شابه.

مع التنويه إلى أن الصحافة الأدبية المتخصصة في أستراليا، لا وجود فعلي لها، لأنها لم تجذب إليها أياً من الممولين، أو المثقفين الميسورين أو من أصحاب الملايين من المهاجرين عرباً ومن أصول عربية لتوظيف أموالهم في قطاعاتها، أو المساهمة في دور نشر وتأسيس وبناء نوادي أدبية وثقافية.

لذلك يمكن التشديد على أن الصحافة العربية الورقية في بلاد المهجر، كما في البلاد العربية، على الرغم من تحوّل معظمها إلى صحافة "الديجيتيل" أو الرقمية في شبكة الإنترنيت، كانت وستبقى وثيقة تاريخية هامة لكل باحث عن مجريات أحداث ووقائع بشكل عام، فمن خلالها يمكن الإطلاع على الكثير من المعلومات التاريخية السابقة، مثل الحياة الاجتماعية، والثقافية، والفنية، والاقتصادية، والسياسية، لوقائع وأحداث جرت في بلاد المهجر خلال الحقب الماضية. وفي الوقت نفسه فإن الصحافة المهجرية، إضافة لما تقدم، فأنها كانت صوتاً للأدب في المهجر بمختلف أنواعه، فمن خلالها يمكن الإطلاع على معظم

الأعمال الأدبية بمختلف ألوانها، إن للشعراء، أو القصصيين والروائيين المهاجرين.

وبما أنني أعتقد أن للشعر مرتبة متقدمة في فنون الأدب، وبما أن الشعر هو فن الإلقاء والتعبير، لأن الشاعر يعبّر بقصيدته عن مكنون الشعب بكلمات سلسة لا يصعب فهمها، محفّزاً إلى الثورة على الظلم والاستبداد، وللدفاع عن الوطن، وداعياً إلى نشر روح المحبة، والفضيلة، والأخلاق، وحب الوطن، بأساليب وصياغات مختلفة تؤثر في الجمهور المتلقي.

لذلك يمكنني تصنيف الشعراء العرب في أستراليا إلى فئتين: واحدة منهم تستعمل اللغة الفصحى، والثانية تستعمل اللهجات المحلية للدول العربية أو الشعر الشعبي العامي مثل (الزجل) اللبناني، مع العلم أن معظم الشعراء والأدباء العرب في أستراليا هم من أصل لبناني، وحالياً هناك طفرة من الشعراء والأدباء من البلدان العربية تكاثرت أعدادها بعد سنة ٢٠٠٣، وقد حافظ هؤلاء الأدباء والشعراء على مخزوناتهم الفكرية، وطوروها، تماشياً مع حالة حرية التعبير المسموح بها في أستراليا، ومعظمهم طبع العديد من كتبه ودواوينه ورواياته في أستراليا على نفقته

بأعداد محدودة، وطبع عدد آخر بعض كتبه ورواياته في بلدان عربية (بيروت – دمشق – القاهرة) ومنهم لم يطبع أي كتاب بسبب التكاليف الباهظة للطباعة في هذه الديار. وما يميز الهجرة العربية إلى أستراليا بروز ثقافة عربية، تركت بصماتها على مسيرة الأدب العربي في هذه الديار، وأن التاريخ سيحفظ أن للبنانيين كان لهم الفضل في إبراز هذه الثقافة من خلال الصحافة التي أسسوها عبر مسيرتهم في أستراليا، مع ملاحظة هامة هي أننا ونحن نكتب ونقرأ عن المهاجرين اللبنانيين الأوائل، علينا أن نلاحظ أن الأغلبية منهم لم تتوفر لهم فرص التعليم والتحصيل العلمي العالي، عدا قلّة تركت ديار الأجداد والآباء وهي تحمل في أعماقها روح الثقافة العربية التي نشرتها في موطنها الجديد، إن شعراً أو نثراً أو رواية وقصة ومسرحاً وموسيقى، وقلّة من هؤلاء تبنّوا قضايا أمتهم ووطنهم وتطلعات شعوبهم، مُشكّلين بذلك مدرسة فريدة في تاريخ الأدب العربي في بلاد المهجر، وهو ما بات يُعرف بأدب المهجر، كما فعل المهاجرون اللبنانيون الأوائل إلى أمريكا في العقد السابع من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كما مر بنا آنفاً.

لذلك نجد من الغريب أن لا تجد صحيفة مهجرية في أي بقعة من العالم، إلا واللبناني يحتل فيها الموقع المميز، ومن عجائب الدنيا أن لا تجد نشرة أو كتاباً في أي قارة أو بقعة من بقاع العالم إلا وفيها إصدار لمهاجر لبناني، وإن كان هذا لا ينقص من أهمية ودور المهاجرين العرب من كافة الأقطار العربية الأخرى، إذ أصبحت الجالية العراقية في المرتبة الثانية عدداً من المهاجرين من البلدان العربية إلى أستراليا، تليها الجالية المصرية ثم الجالية السورية.

وأنوه إلى أنه كما أن هناك بعض الصحافيين من اللبنانيين وغيرهم، باعوا ضمائرهم للشيطان، فكانوا وبالاً على مواطنيهم ووطنهم الأم، كذلك نجد بالمقابل عدداً كبيراً من الصحافيين والكتّاب الذين رفعوا اسم بلادهم الأم عالياً، مضحين في سبيل وطنهم فكانوا مثالاً يحتذى، ومع ذلك لم تعرف بهم بلادهم الأم، ولم تستفد منهم ولا من خبراتهم، حتى الجامعات في البلدان العربية، أو مراكز البحوث والدراسات، واتحادات الأدباء والكتّاب، والنقابات الصحفية في البلاد العربية، لم تستفد أو لم تفكر في ضم الشعراء والأدباء والصحفيين العرب في المهجر الأسترالي، ولا حتى في دراسة أدبهم أو كتاباتهم وشعرهم، أو عمل

موسوعة شاملة تضم أعمالهم، حفاظاً على التواصل بين المقيمين في الوطن الأم والمهاجرين، مع التنويه إلى أن بعض الأفراد قاموا بنشر بعض كتاباتهم وسيرة حياتهم في بعض وسائل الإعلام في بلاد عربية، بحسب علاقاتهم الشخصية بهذا الأديب أو الشاعر أو الصحفي في هذه الديار، وهذا لا يمكن اعتباره من باب التوثيق لأدب المهجر في أستراليا.

الأدب والأدباء في أستراليا

منذ بداية السبعينات من القرن الماضي بدأ يتزايد عدد الأدباء والشعراء والأساتذة الجامعيين ومعلمي اللغة العربية في المدارس والثانويات من لبنان وبلدان عربية أخرى في أستراليا بشكل ملحوظ، مع أن معظمهم لم يمارس مهنة التعليم في هذه الديار، حيث عمل بعضهم في صحف عربية كمدقق لغوي، والبعض الآخر مارس أعمالاً حرة مختلفة وفي المصائع، ولاحقاً عمل بعضهم في مجال الترجمة، وسكن معظمهم في (ولاية نيو ساوث ويلز) وعاصمتها (سيدني) وفي (ولاية فيكتوريا) وعاصمتها (ملبورن) وفي ولاية (ساوث استراليا) وعاصمتها (أدلايد) وفي باقي الولايات الأسترالية الأخرى.

ويمكن تصنيف الشعراء في أستراليا إلى فئتين واحدة منهم تستعمل اللغة الفصحى، والثانية تستعمل اللهجات المحلية للدول العربية أو الشعر الشعبي العامي مثل (الزجل) اللبناني، وعلى الرغم من ازدياد عدد المهاجرين منذ عام ٢٠٠٣ من العراق ومن فلسطين والأردن وسوريا ومن بينهم عدد من الأدباء والشعراء، مما زاد في عدد الشعراء والأدباء العرب في استراليا. وأنوه هنا إلى أن عدداً من العاملين في

مجال الصحافة والإعلام والطباعة من أصول لبنانية فهو ليس قليلاً، ولكنهم لا يظهرون على ساحة الإعلام العربي، لأنهم لا يتحدثون العربية. ومن الأدباء البارزين أذكر الأديب المعروف في أستراليا وعالمياً، الشاعر والروائي ديفيد معلوف، وهو أسترالي من الجيل الثالث من المهاجرين من أصول لبنانية، مؤلفاته كثيرة ومعروفة في عالم الأدب الإنكليزي، حصل على عدة جوائز رفيعة وطنية وعالمية على أعماله الأدبية، ولد في بريزبن في ولاية كوينزلاند عام ١٩٣٤ لأب لبناني وأم بريطانية، اسمه الكامل ديفيد جورج جوزيف معلوف، وقد هاجر جده إلى أستراليا عام ١٨٨٠.

اللغة العربية في أستراليا

إن نسبة تعلّم اللغة الأم تختلف بين عائلة وأخرى اختلافاً كبيراً، فبينما نجد في الجيل الأول من المهاجرين من كان يتحدث ويكتب العربية بطلاقة، بينما نجد بعض أبناء الجيلين الثاني والثالث يتحدث بالعربية باللهجة العامية المكسرة ولا يعرف القراءة والكتابة، أما الجيلان الثالث والرابع فقد ذابا واندمجا في المجتمع الأسترالي ومن المستحيل أن تجد فيهما من ينطق بالعربية، أما الجيلين الخامس والسادس ما قبل أربعينيات القرن الماضي فأنه من النادر أن تجد فيهم من يتحدث بالعربية، وإذا وُجد فأنه لا يعرف أكثر من كلمة (كيفك والحمد لله) و(الهاء) يلفظونها (هاء) وربما يعرفون بعض الكلمات الأخرى البسيطة، أما الجيل الجديد وبصورة عكسية نجد معظمهم يتحدثون بالعربية، وبعضهم يكتبها ويقرأها.

وعلى الرغم من التواجد العربي الثابت في أستراليا منذ ثمانينات القرن التاسع عشر، وتأثيرهم وتأثرهم في المجتمع الجديد، إلا أن الفضل في الحفاظ على اللغة العربية وإعادة إحيائها ضمن المجتمع الأسترالي المتعدد الثقافات يعود إلى موجات الهجرات المتتالية منذ منتصف

خمسينات القرن الماضي، مما ساهم في تكريس اللغة العربية وتعليمها في المدارس والجامعات الأسترالية، بعد أن مُحيت من ذاكرة أجيال المهاجرين الأوائل الذين اندمجوا في المجتمع الأسترالي، بحيث يمكن القول أن الأجيال المتعاقبة من المهاجرين الأوائل قد نسيت اللغة العربية قراءة وكتابة، مع التسليم بأن العديد منهم ورغم أنهم لا ينطقون بالعربية إلا أنهم حافظوا على بعض العادات والتقاليد، ولا سيما من الأجيال الثاني والثالث والربع، والجيل الجديد من المهاجرين ما بعد الخمسينات هم الذين أحدثوا ما يمكن تسميته بالنهضة الثقافية العربية في أستراليا، حيث تم إصدار المطبوعات وجلب آلات الطباعة العربية مما ترك أثره المباشر على تنامي العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية بين أستراليا والبلدان العربية، مما جعل الحكومات الأسترالية المتعاقبة منذ بداية سبعينات القرن العشرين تزيد من اهتمامها باللغة العربية، وقبل ذلك بفضل عدد من المهتمين بتدريس اللغة العربية من أصول مختلفة غير عربية في البداية، وقد تم تعليم اللغة العربية في جامعة ملبورن أولاً في بداية ستينات القرن الماضي.

وفي عقدي السبعينات والثمانينات من القرن الماضي تم تشكيل وفود من الأساتذة الذين طالبوا الحكومات الأسترالية الفيدرالية والمحلية المتعاقبة، خاصة في ولايتي نيو ساوث ويلز (سيدني) وفيكتوريا (ملبورن) بتدريس وتعليم اللغة العربية كلغة ثانية أسوة بباقي اللغات، كما أقيمت صفوف لتعليم العربية في الكنائس والمساجد في سيدني وملبورن، كذلك قامت مؤسسات تعليمية في افتتاح مدارس لتعليم العربية بمساعدة من بلدان عربية، وكذلك قامت جمعيات دينية ومنظمات عربية مختلفة الأصول والخلفيات، بتأسيس صفوف خاصة يومي السبت والأحد في العطلات الأسبوعية لتعليم العربية لأبناء أعضائها، وقد أدت هذه الجمعيات دوراً في تعليم العربية لأولاد المنتسبين إليها من خلال قاعات وصفوف روضات الأطفال وغيرها من الأماكن العامة التي تؤمنها الحكومات المحلية مجاناً في المناطق التي يقطنونها، أو من خلال تأجيرهم لقاعات واسعة أو في قاعات منزل أحدهم، وكذلك أسست بعض التنظيمات السياسية مدارس لأبناء الجالية في مناطق مختلفة لتعليم العربية معظمها لم يستمر، بعد ذلك بدأت بعض المدارس الرسمية الحكومية والخاصة بتعليم العربية وكذلك في الجامعات والمعاهد الأسترالية.

ومع بدء افتتاح السفارات العربية منذ منتصف السبعينات وإقامة العلاقات الدبلوماسية الأسترالية مع عدد من البلاد العربية أدت هذه السفارات دوراً هاماً في دعم المهتمين بتعليم اللغة العربية، حيث تبرعت سفارات العراق وليبيا والسعودية بآلاف الكتب المختلفة ومنها التعليمية، وتم افتتاح مراكز لتعليم العربية لأبناء الجالية مجاناً يومي السبت والأحد من كل أسبوع في سيدني وملبورن، ومع ازدياد الإقبال على تعلم العربية في مختلف المجالات وتزايد أعداد المهاجرين العرب وأولادهم في أستراليا. وفي ثمانينات القرن الماضي تم افتتاح أول مركز ثقافي عراقي في سيدن، تبعه افتتاح المركز الثقافي الليبي في ملبورن اللذين ضما عشرات آلاف المخطوطات والعناوين في مختلف المجالات التخصصية والعلمية والتاريخية والساسية والاجتماعية، ومنها الكتب النادرة الوجود في البلدان العربية، وفي بداية التسعينات افتتحت السعودية مركزاً ثقافياً في منطقة (بريستون) في ولاية فيكتوريا ضم آلاف العناوين من الكتب المختلفة وإن كان معظمها دينياً، ولكن تم إغلاق هذه المراكز لاحقاً بسبب عدم استمرار الدعم المادي للموظفين فيهما، فتم توزيع الجزء الأكبر من محتوياتهما على مكتبات الجامعات والمعاهد الأسترالية في سيدني وملبورن، وإلى بعض الجمعيات

الإسلامية والعربية، كما تبرعت السفارة السعودية بكميات كبيرة من الكتب الدينية ومن نسخ القرآن الكريم إلى الجمعيات الإسلامية التي كانت تعلم العربية، إضافة للجمعيات.

ومع ازدياد طلبة العلم أنشأت مجموعة من المعلمين من أصول مختلفة وبدعم كامل من السعودية مدارس خاصة لتعليم الدين الإسلامي والعربية إلى جانب المناهج الرسمية المقررة في عدد من الولايات الأسترالية، ثم تحولت هذه المدارس إلى مدارس خاصة يدفع أهالي الطلاب آلاف الدولارات سنوياً لكل طالب وطالبة من الابتدائي إلى بداية الصفوف الثانوية، كما قامت مؤسسات إسلامية وأفراد من السعودية وبعض دول الخليج العربي بالتبرع المادي لدعم بناء المساجد التي يتم فيها تعليم اللغة العربية إضافة للدين الإسلامي، وكذلك تبرعت مصر بكميات كبيرة من الكتب إلى الجمعيات الإسلامية في ملبورن ثم توقفت. وأيضاً هناك مدارس الراهبات في كل من سيدني وملبورن وفي بعض الولايات الأخرى وكذلك المدارس الكاثوليكية الخاصة بتعليم اللغة العربية في عدد من الولايات الأسترالية حيث يتواجد مهاجرون عرب، وكلها ليست مجانية.

وأيضاً قام بعض الأفراد بجلب كتب منوعة من لبنان ومصر وقاموا ببيعها فلقيت الفكرة رواجاً مما حدى ببعض الأفراد بالاتفاق مع عدد من الأشخاص في لبنان لإقامة معارض كتب سنوية في سيدني وملبورن مقابل تقديم التسهيلات القانونية المطلوبة لهم والحصول على بعض النسب المئوية من المبيعات، فلقيت هذه المعارض رواجاً في بداية الأمر بسبب تعطش أبناء الجالية للكتب والإطلاع على الإصدارات الجديدة والحديثة في البلاد العربية، وقد وصل عدد دور النشر التي اشتركت في أحد تلك المعارض إلى حوالي مئة دار نشر من لبنان وسوريا ومصر وبعض دول الخليج العربي، ولاحقاً تحولت هذه المعارض إلى اسم معرض فقط دون أن يكون فيها أي كتاب، وأصبحت تعرض بضائع تجارية وصناعات محلية من سوريا ولبنان ومواد غذائية هي بالأصل متوفرة في الأسواق المحلية، ثم توقفت لاحقاً.

وقبل ذلك تم افتتاح مكتبات عربية في ملبورن وسيدني حيث كانت كلفة وصول الكتاب مرتفعة جداً لأنه كان يتم عبر الطرود البريدية، وقد افتتح جورج عبد الصليب أول مكتبة للكتب العربية في ملبورن سنة

١٩٧٦، بعد أن أسس أول مؤسسة للطباعة والنشر بالعربية في ولاية فيكتوريا سنة ١٩٧٥، وبعد ذلك تم افتتاح مكتبات في سيدني لبيع الكتب والمجلات العربية المستوردة من البلاد العربية، إضافة إلى أن المكتبات العامة التابعة للحكومات المحلية في المناطق بدأت بجلب الكتب المختلفة بالعربية إما مباشرة من البلاد العربية أو من خلال شرائها من المكتبات العربية في ملبورن وسيدني.

وفي النصف الأول من الثمانينات، تم البدء في تعليم اللغة العربية في بعض المدارس الرسمية، بعد أن أقرت الحكومة الأسترالية الفيدرالية اللغة العربية كلغة من اللغات الأجنبية، التي تنشر فيها الحكومات الأسترالية الفيدرالية والمحلية نشراتها وبياناتها في كافة الدوائر الرسمية، والبلديات التي يقطنها أغلبية من السكان العرب ومن أصول عربية بشكل عام واللبنانيين بشكل خاص، على الرغم من بعض المشاكل التي برزت لاحقاً بسبب الاختلافات بين بعض المجموعات من أصول عربية التي تعتمد على اللهجات المحكية اللبنانية والمصرية حيث تم توظيف بعض المترجمين في بعض المستشفيات، وفي بعض دوائر العاطلين عن العمل وغيرها من الدوائر الحكومية والقضائية والبنوك

وغير ذلك من مراكز للترجمة، فوقع العديد من المشاكل بسبب المترجمين، حيث كان يتحدث بعضهم بالعربية الفصحى وهم غير لبنانيين، وكذلك عندما كان المترجم يتحدث بلهجة بلده الأصلي ويستعمل كلمات محلية من بلده لا تستعمل في بلد ذلك المريض على سبيل المثال، وكان المريض لا يفهم منه شيئاً، لذلك بدأ الكثير من المرضى يفضلون الذهاب إلى المستشفيات مع أولادهم أو أحد أقاربهم أو معارفهم لكي لا تقع أخطاء في الترجمة، كما أن افتتاح عيادات لأطباء من خلفيات لبنانية ومصرية وسورية وعراقية وغيرها خفف الكثير من تلك المشاكل، إلى جانب ازدياد عدد المسنين من أصول عربية، ومجيء أعداد كبيرة من المهاجرين من كبار السن ضمن "قانون جمع شمل العائلة" الذين لا يعرفون الإنكليزية، فتم افتتاح مراكز ترفيهية لهم في بعض المناطق وتم توظيف بعض الموظفين والموظفات من الناطقين بالعربية لمساعدتهم يوماً في الأسبوع، إضافة إلى تقديم المنح الحكومية ولمرة واحدة في العام لتلك الجمعيات التي تضم أعداداً من المسنين لتقديم الخدمات الترفيهية لهم، وذلك بسبب عدم وجود المراكز الترفيهية للمهاجرين من أصول عربية في بعض المناطق.

ومع ازدياد عدد المدارس الرسمية تدريجياً التي يتم فيها تعليم العربية، ومع إقرار تعليم العربية في المناهج الدراسية الرسمية في المدارس الأسترالية فقد نظّم معهد اللغات الوطني في أستراليا بالتعاون مع جامعة ملبورن في الأسبوع الأخير من شهر أيلول/سبتمبر عام ١٩٩١ مؤتمراً على مدى يومين عقد في (كلية سانت هيلدا) في جامعة ملبورن وكان هذا المؤتمر الأول من نوعه في أستراليا، حيث التقى فيه عدد كبير من المتخصصين والمهتمين بتدريس اللغة العربية كمادة أساسية في مختلف أطوار التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات الأسترالية، إضافة إلى تعليم الرموز والمصطلحات بالعربية للعاملين في الحقل التجاري، ولرجال الأعمال الذين يتعاملون مع البلدان العربية تجارياً، ثم تم الاعتماد على متخصصين في مجال الترجمة في المستشفيات والمحاكم، وفي نهاية المؤتمر تم تشكيل جمعية للدراسات العربية في الكليات والجامعات الأسترالية ضمّت مجموعة من المتخصصين في جامعات وكليات ملبورن وسيدني وأدلايد، إضافة إلى تشكيل لجان متخصصة من تلك الجامعات والمعاهد للتنسيق مع الجامعات والمؤسسات والهيئات التعليمية، من أجل تعزيز وضع تعليم اللغة العربية في مؤسسات التعليم العالي في أستراليا، والتركيز على وضع

برامج ومناهج تعليم اللغة العربية وتطوير وسائل تعليمها في مدارس ولايتي نيو ساوث ويلز وفيكتوريا، والتنسيق مع الجهات الحكومية المعنية من أجل الاعتراف بشهادات المدرسين المؤهلين لتدريس اللغة العربية التي حصلوا عليها من الجامعات والمعاهد من البلدان العربية، من خلال تأسيس لجان متخصصة لمعادلة الشهادات، وتأكيد تعليم اللغة العربية كعملية تربوية مستمرة من المراحل الابتدائية والثانوية وصولاً إلى المراحل الجامعية، كما تمت توأمة معاهد وجامعات أسترالية مع جامعات عربية ومنها أردنية، بعد ذلك تم تشكيل جمعية للمعلمين العرب في ولاية فيكتوريا، وجمعيات للعاملين الاجتماعيين العرب، بأسماء مختلفة في كل من سيدني وملبورن، وبذلك تم إحياء اللغة العربية في أستراليا لتصبح لغة رسمية معترفاً بها أسوة بباقي لغات المهاجرين.

ومع بداية صدور الصحافة العربية الورقية في أستراليا سنة ١٩٥٧ التي أدت دوراً بارزاً في الحفاظ على اللغة العربية وروحها، ومع تكاثر برامج الإذاعات الناطقة بالعربية وإذاعات البث الخاص التي تزايدت أعدادها منذ بداية تسعينات القرن الماضي، على الرغم من الأخطاء

اللغوية والقواعد غير السليمة من معظم المذيعين والمذيعات، إضافة إلى إذاعة (أس بي أس عربي٢٤) الحكومية التي تأسست عام ١٩٧٥ وكانت تبث من ولايتي نيوساوث ويلز وفيكتوريا لمدة ساعة، وأصبحت تبث على مدار الساعة ولسبعة أيام في الأسبوع من سيدني وتغطي ولايتي نيوساوث ويلز وفيكتوريا. يمكن القول إن العرب في أستراليا تمكنوا من تكريس اللغة العربية، خاصة بعد أن صدر العديد من الكتب بالعربية لكتّاب وأدباء وشعراء وروائيين عرب ومن أصول عربية أسهموا في تكريس حضور اللغة العربية وتمتينها، إضافة لوضعها في المكتبات الوطنية بعد تسجيلها والحصول على أرقام تسجيل دولية من دوائر الحفاظ على المخطوطات وحقوق النشر والناشر، على الرغم من أن العديد من الأدباء والكتّاب والشعراء لم يسجّل أياً من كتبه في دائرة تسجيل المخطوطات.

بداية الأدب العربي والمسرحي في أستراليا

من خلال ما جمعته من وثائق ومعلومات موثقة خلال عملي في الصحافة في هذه الديار، وما حصلت عليه من معلومات من أبناء الجالية القدامى، وصورة لنص من جريدة (النهار) اللبنانية التي تصدر في بيروت، حصلت عليها من الدكتور تريفر بتروني بحجم (A4)، تحمل العنوان التالي (ميشال أفندي الخوري السرعلي أهدى كتابه إلى قعر القبو)، حيث وجدت ما بين الكلمات والأسطر المقروءة منها أن كاتب الموضوع هو الباحث (محسن أ. يمين) ومع الأسف لا تحمل النسخة تاريخ النشر وهي غير واضحة المعالم، ولكنه يذكر في البداية "في خلال تقليبي لمجلد السنة الأولى من جريدة (صدى الشمال) (١٩٢٥ – ١٩٢٦) استوقفني في العدد ٤٠ الصادر في (...) نيسان ١٩٢٦ الخبر أدناه:

"أهدى إلينا صديقنا الكاتب الأديب والمفكر ميشال أفندي الخوري السرعلي، أستاذ اللغة العربية بمدرسة الحكمة في بيروت، كتابه "ألحان وأشجان" فتصفحناه فإذا به مجموعة من رسائل حب وأدب واجتماع وآراء، وحكم ومقالات مبتكرة، دبجها يراع الصديق بأسلوب عصري

شيّق ولغة طلية جذابة، حسن الطبع، صقيل الورق، مزداناً بالرسوم الرمزية الجميلة...".

إلى أن يصل (محسن أ. يمين) حيث يقول "إلى أن توثقت عرى صداقتي بالدكتور فريدريك معتوق، مدير معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية (الفرع الثالث) وكان أن استفسرته عن صاحب (ألحان وأشجان) بكونه ابن ضيعته، وإذا بي أتلقى جواباً غير متوقع، إذ فهمت منه أن المؤلف عمه بالذات، فزادني الجواب حيرة، ولم أتمالك من سؤاله وكيف يكون أنك "معتوقي" وهو خوري؟

وأجاب بأن الأسرة الواحدة حملت أكثر من شهرة في آن، أبي مارون، نسبة إلى الجد الأعلى، معتوق، وخوري نسبة إلى (الخوري مخايل معتوق، المعروف بخوري سرعل الكبير)، (...) المعروف، استناداً إلى ما أورده أدمون بليبل في (تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ أُسرها) (المطبوع سنة ١٩٣٥ على مطبعة "العرائس" في بكفيا)، أن أسرة معتوق بكفاوية الأصل، وأن أفرادها وقعوا في أسر مدمري بكفيا وقرى كسروان سنة ١٣٠٥، وجرى إبعادهم إلى طرابلس، ثم اعتقوا من أسرهم، فأُطلق على مجموعهم اسم معتوقين، وعلى كل من أفرادهم اسم (معتوق)، ويقول

بليبل أن أحد أولئك الأسرى أقام بعد عتقه في قرية (المجدل) واقترن بإحدى بناياتها، وكان في شيخوخته يقص أخبار أسره على مسامع أبنائه، فاتصلت بالتناقل إلى أحفاده الذين نزحوا من (المجدل) إلى (عرامون) قرب كسروان، وتفرّع منهم بنو أصاف نسبة إلى أحدهم الخوري أصاف، وبعد تجديد بناء بكفيا وانتشار الأمن في ربوعها، اشتاق أحد أولئك الأحفاد أن يرجع إلى أرض جدوده فجاء إليها في أواسط القرن السابع عشر، والظاهر أن أسرته باقية من سلالة بني الشبق الذين كانوا في بكفيا قبل تدميرها، ومنذ نيف ومئة سنة نزح طنوس أبو مارون معتوق من بكفيا إلى لبنان الشمالي لإدارة أملاك سيدة قنوبين وجوارها فرزق ولدين، مخايل وسعد، وتألف منه ومنهما فرع جديد لا يزال إلى الآن في القرية، أما بنو معتوق المقيمون في قرية (بحنّس) فأنهم من سلالة شوك العاقورية".

وعلم (محسن أ. يمين) أن الدكتور فريدريك لم يشاهد كتاب (ألحان وأشجان) وذلك ربما إلى سفر عمه ميشال الخوري "في وقت مبكر من هذا القرن إلى أستراليا، ووفاته من ثم فيها، وتبدد أوراقه ومخلفاته".

ويذكر أنه في عام ١٩٩٠ تم العثور على مخطوط (ألحان أشجان) في "قعر قبو" على مرمى حجر من منزل الدكتور فريدريك معتوق في بلدة سرعل في شمال لبنان، كما تم العثور على "لقية" ثمينة في مكان آخر لا يبعد كثيراً عن المكان الأول، وهي مجموعة أوراق ملفوفة عبارة عن رسائل، وبعد الإطلاع عليها مع الدكتور فريدريك معتوق وجدا أن المعلومات التي فيها "من شأنها أن تضع ميشال الخوري الذي عُرف بـ"جبران الصغير".

وفي أستراليا كان ميشال الخوري يبيع أجهزة الراديو مقابل "قومسيون" نسبة مئوية أو مبلغ محدد ومتفق عليه مع الشركة التي تمتلك تلك الأجهزة، فيما انصرفت زوجته إلى الخياطة وبرعت فيها فوق إجادتها "لأصول الغناء الإفرنجي" في أوقات الفراغ، وينقل ميشال الخوري إلى والده معتزاً في إحدى رسائله المؤرخة في ٩/..../١٩٣٣ "لأن صوتها ثروة مدفونة كما يقول أستاذها الكونت فيلبيني، مدير الأوبرا الإيطالية"، وأن السعي إلى لقمة العيش لم يثنهما عن اهتمامهما الأدبي أو المسرحي فشكلا ثنائياً متميزاً، ومثلا معاً (رواية "جنفياف) عن رواية تحمل ذات الاسم على أحد مسارح سيدني عام ١٩٢٩"، وفي عام

١٩٣٢ مثلا معاً أيضاً رواية (صلاح الدين الأيوبي) على أحد مسارح ملبورن، كما نظم قصيدة لزوجته نشيداً حمل عنوان (حنين لبناني مهاجر) "فأنشدته بصوتها الرخيم في تلك البلاد ونقله الراديو لأول مرة باللغة العربية إلى كامل الأقطار الأسترالية ومعه اسم لبنان"، وفي شهر تشرين الأول/أكتوبر من سنة ١٩٣٣ حاول تمثيل رواية (جزاء الشهامة) كما كتب إلى أبيه، لكنه لم يتمكن من ذلك بسبب عدم وجود ممثلين كفاية، فضلاً أن بعضهم أبى مساعدته (لعنعنات طائفية) على حد تعبيره في رسالته المذكورة إلى والده".

حنين المهاجر

مقابل ما يبعثه من ملبورن إلى أهله في لبنان كان ميشال الخوري يريد أن يعرف كل ما هو "مفرح وطيب" عن أهله جميعاً وكل ما يطرأ في ضيعته أو في الشمال، ولم يخل تحرير من تحاريره من طلب لصورة للعائلة، كما طلب كتاب (تاريخ لبنان) الذي ألفه "أب يسوعي" كان "وضعه بين الكتب في بيته الوالدي في سرعل، أو أي كتاب آخر حول تاريخ لبنان وجغرافيته"، وكان يتذمر ويعاتب من تأخر وصول الجرائد ويفرح كلما وصلته مجموعة منها، ومما كتبه أنه كان يدرّس ابنه البكر

فيكتور القراءة العربية "التي صار يقرأها قليلاً"، فيما كان ابنه الثاني فريد يعرف أحرف الهجاء، وكان يعتمد على كتاب (مدارج القراءة العربية – من الجزء الأول حتى الثالث)، وكانا "يبديان حماسة لتلقف الحكايات العربية عن بلادنا".

ومما ورد في إحدى رسائل ميشال خوري من أستراليا إلى والده في لبنان بتاريخ ٨ أيار/مايو ١٩٣٣: "يا والدي وعتادي في هذه الدنيا، بقوة الروح المجردة، الحالمة، أجتاز المسافات، وأقتحم الأوقيوناسات، وأضمك إلى صدري البنيوي الخفاق، وأشبعك شمّاً، وضمّاً، ولثماً، عساني ألطف جزءاً صغيراً من حرارة شوقي الشديد.

والدي!.. وما أعذب هذه اللفظة المقدسة – تتوالى رسائلك المحبوبة عليّ، وفيها سمو الحب الوالدي وعذوبة العاطفة الأبوية، من تلك الرسائل الحكيمة المتدفقة بالحنان والرقة أستقي التعزية، ومنها أقتبس دروس الجلد والعزم والجهاد! وعلى أنوارها المشعّة بالحب والأمل، أسهر في طريق غربتي المحفوف بالأشواك والمصاعب، أسهر على أنوارها، ومقتدياً بالطبيعة الجبارة التي بعد عواصف الشتاء وصواعقه الرهيبة تنبعث ثانية بعزم جديد ولباس قشيب في ربيع ظاهر زاهر!.

والدي وعمادي، تلقيت أمس رزمة الجرائد الوطنية طيّها رسالة منك ورسوم لي قديمة كنت قد أعددتها "لألحاني وأشجاني"، سررت جداً بالجرائد وخاصة بـ"الدبور" وتمنيت أن تواصلني بها وبأمثالها، كنت طلبت أن ترسلوا رسماً لي أخذته وأنا في خرائب بعلبك ربما تجدونه بين أوراقي القديمة، لأنه (...) لي حداً مشاهدة تذكاراتي الماضية، (...) وشغل الخياطة مع بولين (أي زوجته) مصطلح كذلك معي في بيع آلات الراديو".

ويذكر في رسالته عن أستراليا "بلاد غنية جداً وفتية وغير مأهولة وغير مستعمرة، فيها من الناس بضعة ملايين (٦ ملايين ونصف) وهي تتسع لمائة مليون" بعض السياح يقولون أنها أحسن بلاد الله في الوقت الحاضر، ولم نعلم مبلغ قولهم من الصحة".

ويختم رسالته بـ"هذا خاتماً أسطري الآن على أمل أن ألقاكم على صفحات الورق قريباً، طابعاً أخيراً قبلة الوداع المؤقت على يديكم الأبوية يا والدي وحبيب من لا ينساك لحظة واحدة ولدك المشتاق – ميشال". وكانت رسائله تحمل عنوان سكنه (١٤١ لايغون ستريت – كارلتون فيكتوريا – أستراليا).

وأقتطف بعض ما قدرت على قراءته مما كتبه على ظهر صورة له أرسلها إلى والده مع بلوغه الخامسة والثلاثين ومؤرخة ١٩٣٤/٩/٧ كما أوردها (محسن أ. يمين)، "إلى الرجل الذي كان علّة وجودي من بعد الله، إلى ذاتيتي السابقة التي منها نسلت، إلى أقرب الناس من جسمي وقلبي وروحي، إلى مسدّد خطواتي صغيراً ويافعاً.

إلى والدي،

(...) عاطفة (... حياكم الرسم عنّي كلما وقعت أنظاركم فوقه يا منبع الشمم، لو يملك النطق، ناداكم بأعذب ما في الحب من لغة، والشوق من كلم، لكنه صامت، والصمت أبلغ من بعض الكلام، كما جاء في الحِكَمْ (...) لغز الوجود.

الإنسان، خاطرة غريبة، جريئة في ضمير الله، ثم جسم نام متحرك، ناطق في أحضان الطبيعة، ثم، (أحياناً) رسم صامت تسجّله آلة فنّان، ثم ذكر متردد على شفاه الناس أو في أساطيرهم الواهية، ثم أنفاس متطايرة، متغلغلة في أطباق اللانهاية، ترجع ترتيلة الخلود أمام الأبد القاتم.

هوذا أنا هنا، تلك الصورة الساكتة، المحدّقة في اللاشيء، قد طبعتها أداة المصور، فوق الورق الفاني، غير أن القدر سوف يتيح لها (الصورة) عمراً أطول من عمري الجسمي الذي سوف يعود قريباً إلى عناصره الأولى الهيولية، ويذوب شيئاً فشيئاً ذلك الذكر الضئيل في فضاء هذا الزمن ولا يبقى منّي سوى آهة لطيفة، ترتعش أمام الأبد القاتم. – ميشال الخوري السرعلي".

وفيما يلي بعض من رسالته المؤرخة في ٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٢، "هذه رسالتي الرابعة، أكتبها عند الأصيل والشمس على أهبة الغروب، تشبه باصفرارها المؤثر ألوان المحبين، وهي تترك أمامي فوق وجنة البحر نثرات متوهجة مذهّبة، يذكّرني مرآها بك لوجود شبه بينك وبينها، من جهة الجمال والنقاء على أن الفرق عظيم بينكما، جمال تلك وقتي وزائل لا حياة فيه، وأما جمالك فهو حي خالد، لأن مبعثه الروح...".

توفي ميشال خوري في انفجار وقع في المصنع الذي كان يعمل به في ملبورن عام ١٩٤٤، ولم يبق من مؤلفاته أثر سوى تلك الرسائل وكتاب "ألحان وأشجان" الذي طبع على مطابع قوزما في بيروت.

(ميشال الخوري من مواليد ١٨٩٩ في سرعل (بلدة في شمالي لبنان) وهو ابن بطرس الخوري معتوق، اقترن من بولين نخلة انطوان كيروز، رزق منها في لبنان فيكتور (١٩٢٣)، وفريد (١٩٢٥)، وهنري وشيرين في أستراليا بعد سفره والعائلة إلى ملبورن عام ١٩٢٦، للعمل إلى جانب أهل زوجته هناك). وقد توفي ميشال الخوري السرعلي سنة ١٩٤٤.

إذاً كانت بداية الأدب العربي والمسرحي في أستراليا هو ما كتبه ميشال الخوري وما قدّمه مع زوجته بولين في سيدني وملبورن من أعمال مسرحية، فقد عثرت على أثر مكتوب بالإنكليزية نُشر في جريدة محلية في سيدني (وينغهام كرونيكل) (Wingham Chronicle) التي تصدر في ولاية (نيو ساوث ويلز)، وهي عبارة عن مذكراته عن وطنه الأم ضمن سلسلة من المقالات كتبها (أليك مالك) (Alec Mellick) عن رحلته إلى لبنان التي بدأها في ١٩٣٣/٣/١٤ بعد حوالي أكثر من عشرين عاماً من وصوله أول مرة إلى أستراليا، حيث زار والديه وشقيقاته وأقاربه"، وبهذا يكون (أليك مالك) أول كاتب لبناني ينشر في صحيفة أسترالية بالإنكليزية، ثم أصدرها في كتيب حمل عنوان (رحلة

إلى الخارج – وينغهام إلى الأرض القديمة – بعض الانطباعات) سنة ١٩٣٥، " Trip Abroad - Wingham to the Old Land: a few impressions"، يذكر فيها أنه أمضى خمسة أشهر هناك متنقلاً في رحلات لعدد من المناطق اللبنانية منها بيروت وطرابلس وجبل لبنان ودمشق وحيفا في فلسطين ويقول أنه خلال وجوده في بلدته (بطرام) – قرية في منطقة الكورة في شمال لبنان – وصل إلى بيروت عمه (الفريد مالك) الذي جاء ليزور أهله قد قال له أنه عاش في أستراليا لمدة ٣٥ عاماً وأنه امتلك مزرعة خراف في منطقة (كونامبل) وأنه شارك في مؤسسة (بورك وولغيت) التي كانت تهتم بالسباق وأنه كان عائداً من هناك ليقيم في بريطانيا ولكنه جاء ليزور أهله قبل الذهاب إلى هناك، وأن هذه هي زيارته السابعة إلى لبنان منذ هجرته. وقد التقى هناك بعض الجنود الأستراليين.

بعد ذلك لم أعثر على أي أثر أدبي مخطوط أو مطبوع سوى ما كتبه أحد الأشخاص ربما في فترة الثلاثينات أو الأربعينات من القرن الماضي بحسب ما علمت من الصديق جورج صليب الذي عُرض عليه مخطوط يدوي من قبل أحفاد عائلة من الجيل الثالث أو الرابع كي

يترجمه لهم من العربية، ولسبب ما لم تتم تلك الترجمة مع الأسف، وأعتقد أن هذا المخطوط هو من أحفاد ميشال الخوري السرعلي.

وفي نهاية الخمسينات صدرت الصحف بالعربية، وفي السنوات الأخيرة من الثمانينات وبدايات تسعينات القرن الماضي تم تقديم العديد من العروض المسرحية في سيدني وملبورن حيث تم تشكيل فرق مسرحية وفولكلورية قدّمت عروضها على مسارح عدة استمرت متقطعة، كما أسست بعض الأحزاب فرقاً مسرحية لمناسباتها، وفي الوقت نفسه لازالت مسارح مدارس الراهبات في سيدني تعرض بعض الأعمال المسرحية لتلامذتها في المناسبات من كتابة وتأليف الشاعر شربل بعيني.

الروابط والمنتديات والجمعيات الأدبية في أستراليا

على الرغم من محاولات تأسيس منتديات أدبية وثقافية في أستراليا، قام بها أفراد من أبناء الجالية اللبنانية، التي ظهر عدداً منها على ساحتي ملبورن وسيدني ولم يكتب لها نجاح الاستمرار لأسباب عديدة أهمها: منصب الرئاسة، والخلافات الشخصية بين الأعضاء، والتكبر، التي ترتبط إلى حد بعيد بالذهنية الفردية والأنانية، وعدم التقيد بالمقاييس الأخلاقية والأدبية، إذ أنه من البديهي أن يكون هناك اختلافات بين الشعراء والأدباء والمثقفين في النظرة إلى الشعر العربي وإلى الشعراء بشكل عام، وأن تتعدد الآراء وتتشعب، وتتلاقى وتتنافر، فالاختلاف في النظرة يُفترض أن يكون باعث حوار وتطوّر، ولكن أن يتحوّل اختلاف الرأي وفي وجهة النظر إلى صراعات ضد الآخر ونبذه وذمّه، أو إلى معركة شخصية يحضر فيها الشخص ويغيب مفهوم الثقافة والأدب، فهذا خارج عن نطاق الأدب والثقافة، هذا باختصار هو واقع الحال لدى معظم الأدباء والشعراء والمثقفين في أستراليا، الذي هو امتداد كما يبدو لعقلية التفرد والأنا، والديكتاتورية الشخصية الكامنة في نفسية الفرد، التي حملوها معهم من البلدان العربية التي لا تخلو من هذا

المرض العضال، ومنها أيضاً بعض المتعدين على كتابة الشعر وهم لا يعرفون من العربية قواعدها، وبعض المتسلقين لعتبة السلطة الرابعة صاحبة الجلالة، الذين غذوا الخلافات والصراعات بين الشعراء والأدباء والمثقفين، ما أدى إلى عدم استمرار المنتديات والروابط والأندية الأدبية والثقافية في أستراليا.

المنتدى الأدبي في فيكتوريا

تأسس المنتدى الأدبي في فيكتوريا بتاريخ الرابع من أيلول/سبتمبر عام ١٩٩٦ بمبادرة من منسق اللقاء فؤاد الحاج، بالتعاون مع جورج صليب، حيث تم الاتفاق على الأهداف العامة والمشتركة التي تهم كل من يتعاطى الشأن الثقافي، والحفاظ على اللغة العربية في هذه الديار، وكانت الطموحات أن يتم تحقيقها تباعاً، ولكن للأسباب السابقة الذكر بقي المنتدى الأدبي يقوم ببعض النشاطات الداعمة لأي عمل ثقافي، ومنها حفلات إطلاق بعض الكتب لشعراء وأدباء وروائيين، إلى أن

توقف نهائياً عن أي نشاط بسبب الخلافات الداخلية بين الأعضاء في نهاية عام ١٩٩٨.

كانت أهداف هذا المنتدى:

الارتقاء بجاليتنا إلى مستوى حضاري ثقافي مميز في المجتمع الأسترالي المتعدد الثقافات لتحقيق الأهداف التالية:

١ – تشجيع ودعم الكتّاب المحليين وفتح المجال لنشر إنتاجهم الثقافي.

٢ – العمل على تحقيق نهضة أدبية، تتكتل فيها كافة العطاءات المنتجة في هذا المجال.

٣ – العمل على إقامة أمسيات ثقافية مختلفة لأدباء محليين، (وإن أمكن) من باقي الولايات والمغتربات ومن الوطن الأم.

٤ – العمل على ترجمة الأعمال الأدبية ونشرها وصولاً إلى الالتقاء مع باقي الجاليات في هذه الديار من اجل مستقبل ثقافي حضاري مشترك في مجتمعنا المتعدد الثقافات.

٥ – العمل على تشكيل نواة من أجيالنا لمتابعة وتطوير هذا العمل، للمحافظة على الترابط الثقافي والفكري بين أجيالنا في هذه الديار وفي الوطن الأم.

٩ – إصدار نشرة تعنى بالشؤون الأدبية في هذه الديار.

وقد ضم المنتدى في بداية تأسيسه عدداً من الشعراء والأدباء والروائيين، أذكر منهم:

الأديبة رقية قطان النابلسي، والشاعر والروائي جورج صليب، والشاعر نبيل برباري، والمترجم عبد الله مروّة، والإعلامي يوسف عيسى، وفؤاد الحاج، والروائي غسان طعان.

رابطة إحياء التراث العربي – سيدني

(رابطة إحياء التراث العربي) أعلن عن تأسيسها في سيدني عام ١٩٨١، بعد أن كانت تنشط باسم (تجمع أصدقاء جبران) منذ عام ١٩٨٠ والتي كانت تضم مع حفظ الألقاب كامل المر، وإيلي ناصيف، وشربل بعيني، وفؤاد نمور، وغسان معتوق، والسيدة نجلاء فهد، وأيوب أيوب وغيرهم الكثير من الأدباء والشعراء والمثقفين في سيدني، وفي الحفل الذي أحياه التجمع عام ١٩٨١ بمناسبة السنة العالمية لتكريم جبران خليل جبران، الذي شارك فيه عدد كبير من الشعراء والأدباء والإعلاميين والكتّاب، من معظم المهاجرين من أصول عربية، ومعظمهم من اللبنانيين في سيدني، تنادى المشاركون إلى إقامة تجمع ثقافي شامل لكل الشعراء والأدباء والفنانين المهاجرين، وتم الاتفاق على اسم (رابطة إحياء التراث العربي) كما تمت الموافقة على الاستمرار في منح جائزة حبران خليل جبران لكل مبدع في الأدب والفن والثقافة، ويلتزم بالحق والأخلاق في أنحاء العالم، وقد حصل على هذه الجائزة العشرات من كافة الأقطار العربية والدولية وأستراليا.

استمر نشاط الرابطة لمدة تزيد عن العشرين عاماً، وكان نشاطها الأدبي والثقافي شمل العديد من النشاطات، منها الندوات والأمسيات الثقافية، ونشر أعمال لأدباء وشعراء من سيدني وملبورن، وصدر عن هذه الرابطة دواوين شعرية بالفصحى والعامية، وكتب ثقافية مختلفة، إضافة لمنح جائزة (جائزة جبران) التقديرية التي كانت تُمنح سنوياً لنتاج أدبي مُميّز لأدباء وأديبات، وفنانات عربيات من أصول عربية، وأديبات وشاعرات أستراليات، وإلى مجموعة من الأدباء والشعراء والإعلاميين من لبنان، والعراق، ومصر، وسوريا، والأردن، والبرازيل، والأرجنتين، وإلى أدباء وشعراء من أستراليا عرباً ومن أصول عربية وغير عرب، وكان من ضمن نشاطاتها دعوة شعراء وأدباء من البلدان العربية إلى أستراليا، لتكريمهم وإقامة ندوات ثقافية مشتركة.

المركز الثقافي الأسترالي العربي – منتدى بطرس عنداري – (سيدني)

Australian Arabic Cultural Center – Boutros Indari Forum

بعد وفاة "عميد الصحافة العربية في سيدني" الأديب والصحافي الراحل بطرس عنداري، الذي وافته المنية بتاريخ ٢٠١٢/٥/٢٦ إثر نوبة قلبية. تنادى بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٢ عدد من أصدقاء الفقيد ومعارفه، ومن الذين عملوا معه في الصحف التي أسسها أو شارك في تأسيسها، وأطباء وأكاديميين وإعلاميين، وشعراء وأدباء وفنانين لبنانيين وسوريين

وأردنيين وفلسطينيين، من أجل إحياء الذكرى السنوية الأولى للراحل، وعقدوا اجتماعاً في عيادة الدكتور مصطفى علم الدين، وبعد حوارات ومناقشات تم تشكيل لجنة حملت اسم (تجمع الوفاء لبطرس عنداري)، ضمت الدكتور مصطفى علم الدين، والدكتور عماد برو، والدكتور إميل شدياق، وجورج ديوب، وجورج هاشم، وبيار حويك، وجريس عباسي، وأكرم برجس المغوش، وعبد القادر قرانوح (أبو محمود)، وشادية الحاج حجار، وجوزيف خوري صاحب ورئيس تحرير جريدة "المستقبل"، وجورج سرياني، وماري ميسي، وألكسي حناوي، وعلي عبيد، ومارسيل وموريس منصور، وتم الاتفاق على إقامة مهرجان تأبيني للراحل بطرس عنداري بمناسبة مرور سنة على رحيله، (في قاعة الويستيلا الكبرى) في ليدكومب في سيدني بتاريخ يوم الأربعاء الموافق ٢٠١٣/٥/٢٢ الذي شارك بحضور حشد من مختلف أطياف أبناء الجالية دون استثناء في سيدني ومن ملبورن.

الجدير بالذكر أن الرسامة الفنانة مارسيل منصور رسمت لوحة للراحل بطرس عنداري أسمتها "لوحة الوفاء لروح بطرس عنداري"، وكذلك صنع النحات الفنان فؤاد الورهاني تمثالاً نصفياً للراحل، قاما بتقديمهما

إلى المركز الثقافي الأسترالي العربي – منتدى بطرس عنداري، وتحتفظ فيهما عائلة الفقيد.

وبعد فترة من اللقاءات والمداولات بهدف تطوير أهداف (تجمع الوفاء لبطرس عنداري) تم الاتفاق على تسميته باسم (المركز الثقافي الأسترالي العربي – منتدى بطرس عنداري).

من أهداف هذا المركز – المنتدى:

١ – أن يكون مركزاً للمعلومات والبحوث.

٢ – نشر وتطوير ودعم الصورة الإيجابية للعرب في المجتمع الأسترالي.

٣ – تشجيع ودعم المبادرات والبحوث العلمية في مجال اللغة العربية وتعليمها في المجتمع الأسترالي.

٤ – تشجيع وتطوير ودعم العلاقات الثقافية المتبادلة بين المجتمعين العربي والأسترالي.

٥ – مكافحة العنصرية في المجتمع.

٦ – أن يكون منبراً للحوار الديمقراطي، ولا يرتبط المركز بأي جهة سياسية أو حزبية أو طائفية، والانفتاح على الحوار مع مراكز ثقافية مماثلة في أستراليا وفي الخارج.

ويسعى المركز، حيثما أمكن، إلى:

١ – عقد المحاضرات والأنشطة وتنظيم المؤتمرات حول قضايا تهم الجالية العربية والمجتمع الأسترالي.

٢ – إقامة فعاليات ثقافية وأدبية وفنية وتربوية واجتماعية، إضافة دعم إصدار الكتب والدراسات المحلية.

٣ – الحفاظ على اللغة العربية وضرورة تعليمها لأبناء الجالية في أستراليا.

٤ – تقديم جوائز لأفضل الأعمال في مجالات الأدب والفنون والعلوم والإعلام.

من نشاطات المركز – المنتدى:

- إقامة حفلات تكريم سنوية بمناسبة اليوم العالمي للمرأة من مختلف الجنسيات، بدأت بتاريخ ٢/٢/٢٠١٥، حيث تم تكريم وتوزيع الجوائز على السيدات العربيات المتميزات في نشاطاتهن وأعمالهن، وتسليط الضوء على مسيرتهن وإنجازاتهن في المجالات الاجتماعية المختلفة، تقديراً للمرأة ودورها في المجتمع على كل المستويات التربوية، والعائلية، والاجتماعية، والثقافية والأدبية، والاعلامية والصحية.

- منح جوائز مالية للطلبة المتفوقين في مدارس سيدني في كتابة الشعر والقصة القصيرة وتشجيعهم على الكتابة بالعربية.

- إقامة ندوات علمية وثقافية وأدبية، وإعلامية لشخصيات فكرية من أستراليا وخارجها.

- منح شهادات تقدير تكريماً لأدباء وشعراء وإعلاميين من أستراليا وخارجها.

- رعاية مناسبات إطلاق كتب للروائيين والقصصيين والشعراء.

إن معظم نشاطات المركز-المنتدى كانت تقام في قاعات جمعيات وبلديات في ولاية نيو ساوث ويلز، وكان البنك العربي أستراليا يرعى

معظم هذه المناسبات، إضافة إلى تبرعات الأعضاء كل بحسب إمكاناته، وآخر حفل أقامه المركز – المنتدى، كان بمناسبة يوم المرأة العالمي بتاريخ ٢٠٢٣/٣/٦.

جمعية إنماء الشعر والتراث – سيدني

جمعية إنماء الشعر والتراث، أسستها الدكتورة المحامية بهية أبو حمد في الخامس عشر من نيسان/أبريل ٢٠١٣ تحت اسم "جمعية إنماء الشعر العامي العربي في أستراليا والوطن العربي" حالياً تعرف بـ(جمعية إنماء الشعر والتراث)، التي تحرص على تنمية الزجل والتراث اللبناني، من خلال إقامة حفلات زجل لشعراء مهجريين لبنانيين وعرب، إضافة إلى تنظيم حفلات وندوات ثقافية في لبنان ومصر ودول أخرى، وتضم الجمعية عدداً من الشعراء والأدباء من لبنان، العراق، سوريا، الأردن، فلسطين، والسودان، وغيرهم من البلدان العربية، إضافة إلى أستراليين من أصول عربية.

أسماء أعضاء مجلس الإدارة الذين شاركوا في التأسيس في الخامس عشر من نيسان/أبريل ٢٠١٣ كما وصلتني من الدكتورة المحامية بهية أبو حمد: إضافة إلى الدكتورة المحامية بهية أبو حمد: الشاعر الدكتور والمحامي مروان كساب – الشاعر جورج منصور – الشاعر شربل بعيني – الشاعر حنا الشالوحي – الشاعر عصام ملكي، الشاعر فؤاد نعمان الخوري، الشاعر يوسف جبرين، البروفيسور رفعت عبيد،

الشاعر الدكتور جميل الدويهي – الشاعر يحيى السماوي – الموسيقار مجدي بولس – القاضي والأب شاهر مرجي – المحامي والأب ربيع عباسي – الشاعر النقيب جورج أبو أنطون – الشاعر أنطوان سعادة – الشاعر إلياس خليل.

أهداف (جمعية إنماء الشعر والتراث):

١ – إنماء الشعر والتراث في أستراليا والوطن العربي.

٢ – الحفاظ على التراث والأدب المهجري من الضياع ونقله للأجيال القادمة.

٣ – المحافظة على الإنتاج الأدبي والشعري المهجري وجمع المثقفين جسدياً وفكرياً وتقديم العون والمساعدة لهم.

٤ – إقامة جسور التواصل بين الشعر العربي في أستراليا، وأنواع الشعر الشعبي في الوطن العربي.

٥ – إقامة ندوات، ومحاضرات، وأمسيات شعرية خاصة بالشعر الشعبي في أستراليا، والمهجر، والأقطار العربية.

٦ – نشر دراسات، وأبحاث أكاديمية، حول شعراء الزجل، وأنواع الشعر العاميّ في الدول العربية.

٧ – ترويج الشعر العاميّ في المدارس، والمعاهد العربية، والجامعات، والمؤسسات الأخرى أسوةً بالشعر الفصيح.

٨ – تعزيز ثقافة المولودين في المهاجر من أجل فهم الشعر الشعبي، وتشجيعهم على اتقانه والمحافظة عليه.

٩ – لم شمل المفكرين والقيام بنشاطات شعرية وأدبية بغية التعارف والالتقاء مع بعضهم البعض، وتحقيق الغنى الفكري وإثراء المكتبة الأدبية من خلالهم.

١٠ – دعم ومساعدة المثقفين والشعراء من خلال إقامة حفلات دورية تحمل الطابع الشعري والأدبي هدفها نشر وإطلاق الإنتاج الشعري لأبناء الجالية عامة.

١١ – تعزيز الروابط بين شعراء أستراليا، وشعراء المهجر، وشعراء الشعر العاميّ في الدول العربية.

١٢ – توفير الدعم المالي لنشر التراث الشعبي، والكتب، والدواوين في جميع الأقطار.

١٣ – تأسيس مركز ثقافي لاحتضان النشاطات الشعرية، والأدبية، والأكاديمية، الخاصة بالشعر الشعبي، والثقافة العامة.

١٤ – توفير وسائل الضمان المالي، والضمان الصحيّ، ومعاش التقاعد، للشعراء ومكافآت مالية أخرى.

١٥ – مساعدة الشعراء الناشئين على تعزيز مواهبهم، ومساعدتهم على طباعة الكتب والدواوين الجديدة.

١٦ – تبادل الزيارات بين شعراء أستراليا، وشعراء المهجر، وشعراء الوطن العربي، لتقوية التعارف والاستفادة من الثقافات والأنواع الشعرية المختلفة.

صالون الدكتورة بهية أبو حمد الثقافي

في الثاني عشر من حزيران/يونيو ٢٠١٦ تم الإعلان عن صالون الدكتورة بهية أبو حمد الثقافي بحضور نقيب شعراء الزجل في لبنان

الشاعر جورج أبو أنطون، والشاعر أنطوان سعادة، والشاعر إلياس خليل الذين قدموا من لبنان، وبتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٢١ وبرعاية وزارة الثقافة في لبنان، ومجلس سفراء العرب في كانبيرا، وأعضاء من نقابة شعراء الزجل في لبنان، تم افتتاح صالون بهية أبو حمد للشعر والأدب بمشاركة نخبة من وجهاء الجاليات الإثنية والأسترالية.

لقاء الأربعاء الثقافي – سيدني

تأسس لقاء الأربعاء الثقافي في سيدني عام ٢٠١٦ على يد مجموعة من الشعراء والأدباء والصحافيين والفنانين أذكر منهم: الشاعر شوقي مسلماني، المهندس علي موسى حمّود، الطبيب د. حسين شمص، الكاتب والباحث د. رامز رزق، السيناتور شوكت مسلماني، المهندس علي محي الدين، الشاعر غسّان المنجد، الفنّانة فيكي مارون، القاصّ سليمان الفهد، الفنّان مروان العكرماوي، الباحثان حسن فخر الدين وحسين مصطفى، رئيس تحرير جريدة ا"الأوبزرفر" العالميّة د. ممدوح سكّريّة، المهندس سام حبّ الله، الكاتب والناشط السياسي خالد غنّام،

الشاعر أحمد الحسيني، المحامي حسن الحسيني، الأساتذة فوزي أمين، طنّوس فرنسيس، سامي أيّوب، حسن مرتضى، شبيب مطر، غسّان وحسّان وعدنان وهبي، موفّق سلامي، خليل اسماعيل، جمال طنانا، جعفر بعلبكي، غندورة بزّي، المصوّران مصطفى حجازي وعلي فارس، البروفسيّور جواد حيدر، والأستاذان الجامعيّان د. قاسم مصطفى ود. جمال رزق.

من أهداف "لقاء الأربعاء" نشر الوعي في كافة المجالات التي تهم الجالية في سيدني.

ومن نشاطاته كان يقيم مساء كل يوم أربعاء ندوة لشاعر، أو أديب، أو لرجل دين، أو طبيب، أو اقتصادي، أو سياسي، إضافة إلى إقامة ندوات ثقافية وأدبية، وقد استضاف مثقّفين وأدباء وشعراء وفنّانين وإعلاميين ورجال دين وسياسين وعسكريين لإلقاء محاضرات ومناقشات وإجراء حوارات في مختلف المجالات من داخل وخارج أستراليا.

استمرّ نشاط "لقاء الأربعاء" لأكثر من ثلاث سنوات، وتوقّف نشاطه بسبب جائحة كورونا في نهاية سنة ٢٠١٩.

المنتدى الثقافي الأسترالي العربي (Australian Arab Cultural Forum)

المعلومات الواردة أدناه حول "المنتدى الثقافي الأسترالي العربي" أنقلها كما وردت في صفحة المنتدى في الفيسبوك، لذلك اقتضى التنويه.

تأسس في شهر كانون الثاني/يناير عام ٢٠٢٠، بدعوة من مؤسسة ورئيسة المنتدى الثقافي الأسترالي العربي والمنسقة العامة أ. د. أميرة عيسى، ونائب الرئيس أ. د. عماد شبلاق، وأمين السر أ. محمد الديراني.

أهداف المنتدى

– المنتدى هو مؤسسة غير سياسيّة ولا تبتغي الربح المادي.

– تفعيل الجو الأدبي والفكري في أوساط الجالية العربية في أستراليا.

– تشجيع الإبداع الفني في أستراليا في مختلف أنواعه من رسم ومسرح وموسيقى.

– العمل على إخراج ما في العقل العربي في المهجر من إبداع وتمايز، وذلك بتشجيع إصدارات جديدة في الفكر والأدب والشعر والرواية والأقصوصة والترجمة.

– إقامة الندوات المحلية لمناقشة الكتب المهمة الصادرة باللغة العربية أو اللغات الأجنبية.

– إقامة المؤتمرات المحلية والدولية لمناقشة مواضيع ثقافية مختلفة.

– تشجيع تواقيع الكتب العربية الصادرة في أستراليا وخارجها.

– الانفتاح على سائر الأندية والمؤسسات الثقافية العربية القائمة في أستراليا وخارجها.

من نشاطات المنتدى الثقافي العربي الأسترالي في سيدني:

إجراء ندوات ومحاضرات متنوعة فكرية وثقافية، والمشاركة في لقاءات وحوارات من داخل وخارج أستراليا عبر وسائل التواصل صوتاً وصورة، إضافة إلى إقامة مسابقات شعرية للشعر الموزون، وللشعر الحر، والقصة القصيرة والرسم للناشئين، داخل وخارج أستراليا، ومنح الفائزين

جوائز مادية رمزية، إضافة إلى نشاطات اجتماعية، منشورة عبر صفحة المنتدى في (فايسبوك) وغيره.

عصبة الزجل اللبناني – سيدني

انطلق نشاط عصبة الزجل اللبناني في سيدني، في أواسط الستينيات من القرن الماضي حيث تنادى شعراء الزجل آنذاك لتأسيس جمعية تضمهم من أجل إبراز شعر الزجل في أستراليا، وتم اختيار الشاعر مخايل قربان رئيساً لها بالتعاون مع الشعراء جورج منصور، ويعقوب عبيد الملقب بـ"المير"، وعصام ملكي، وميلاد طحان، ورامز عبيد، وحنّا عبيد وغيرهم، ولم تُسجَّلْ العصبة آنذاك رسميّاً في دائرة تسجيل الجمعيات.

وبعد رحيل معظم الأعضاء، أعاد تجديدها الشاعر الراحل عصام ملكي، وفي ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر من عام ٢٠٢٢، تم تسجيل العصبة حسب قانون الجمعيات في سيدني، ثم تشكلت هيئة تأسيسية انبثق عنها هيئة تنفيذية ضمت: لطيف مخايل، ومارون داغر، وجورج

قزي، وطوني رزق، والدكتور إميل شدياق، وجورج منصور، وحنا الشالوحي، وجان كرم أعضاء، إضافة إلى شعراء من ملبورن انتسبوا إلى العصبة لاحقاً.

من أهداف العصبة: دعم وتشجيع الزجل والأعمال الثقافية، وإقامة سهرات زجل، ورعاية توقيع الكتب لأدباء وشعراء.

تنويه وختام:

أنوّه في خاتمة هذا الكتاب إلى أن عدداً من الشعراء والأدباء في أستراليا لم ينضموا إلى أي من المنتديات والروابط الأدبية في أستراليا إن بالفصحى أو بالعامية.

ومما يجدر ذكره أن سيدني شهدت منذ تسعينيات القرن المنصرم ولادة عدة مجموعات أدبية وثقافية لم تستمر في نشاطاتها، أذكر منها: (لقاء الأحد الثقافي) الذي أسسه الشاعر وديع سعادة في أواخر تسعينيات القرن الماضي، وضم: أنيس غانم، وجوزيف طوق، وخضر أبو راشد، وشوقي مسلماني، وحسان بيضون، وطلال الساحلي، وعباس مراد، وكان "لقاء الأحد الثقافي" يتناول في لقاءاته إلقاء أشعار ومناقشتها، إضافة إلى قضايا الشعر والثقافة والأدب بشكل عام، وقد استمرت نشاطاته مدة سنتين تقريباً. و(الملتقى الثقافي) الذي تأسس عام ٢٠١٧ على يد شعراء وأدباء.

هذا ويوجد حالياً في سيدني حركة أدبية ثقافية متنوعة، ونشاطات وفعاليات مختلفة لأحزاب وتنظيمات وجمعيات تقيم ندوات لنشر

المعرفة والوعي بين الجاليات المهجرية، إضافة لوجود مجموعات تعنى بالأدب والثقافة من المهاجرين العراقيين ظهرت في السنوات الأخيرة.

الختام

وفي الختام، يتبدى لنا أن أدب المهجر لم يكن مجرد صدىً لأنين الغربة، بل كان صوتاً مبدعاً استطاع أن يحوّل مرارة البعد إلى إبداعٍ خالد، مُضيفاً إلى الأدب العربي الحديث آفاقاً جديدة وتجارب إنسانية عميقة، مما أسهم في إثراء وجداننا وتوسيع مداركنا، ونظرتنا إلى الحياة، ليظل شاهداً حيّاً على قدرة الروح الإنسانية على تجاوز الغربة والاغتراب في وجه التحديات.

مصادر ومراجع:

(١) (أثر العرب في الحضارة الأوروبية)، عباس محمود العقاد، ص ١١، طبعة مؤسسة هنداوي، عام ٢٠١٤.

(٢) (حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور)، للدكتور احمد سوسة، صفحة ٧ و٨، صادر عن وزارة الإعلام العراقية، السلسلة الإعلامية رقم ٧٩، بغداد ١٩٧٩.

(٣) (مدرسة الديوان) قامت على ثلاثة شعراء توحدت أفكارهم واتفقت ميولهم وثقافتهم، والتقت طموحاتهم، وتشابهت اتجاهاتهم في الشعر وفي النقد، وهم: عباس محمود العقاد، وإبراهيم المازني، وعبد الرحمن شكري، وهي مدرسة أدبية عربية ظهرت في أوائل القرن العشرين، تميزت بمجموعة من الخصائص والملامح التي تميزها عن غيرها من المدارس الأدبية. من أهم هذه الملامح التجديد في الأسلوب والمضمون واللغة، والاهتمام بالوحدة العضوية للقصيدة، ورفض شعر المناسبات. لمزيد من التفاصيل عن مدرسة الديوان يمكن الإطلاع على العديد من الكتب والمقالات عبر شبكة الإنترنيت.

(٤) (جماعة أبولو) اتخذت هذه الجماعة اسم "الإله الإغريقي (أبولو)" الذي يوحي من زاوية خفية إلى اتساع مجالات ثقافتهم وإبداعهم، التي تتصل بالتنمية الحضارية ومحبة الفلسفة وإقرار المبادئ الدينية والخلقية.

(٥) عبد الغني الملاح – الموسوعة الصغيرة (التزامن بين الحروب الصليبية وألف ليلة وليلة – الخسائر والأرباح) ص ٦٨، دار الحرية – بغداد ١٩٨٠.

(٦) (شمس العرب تسطع على الغرب)، زيغريد هونكه، من المقدمة الخاصة بالطبعة العربية ص٩ – الطبعة الثامنة ١٩٩٣ – "دار الجيل" و"دار الآفاق الجديدة" بيروت.

(٧) (حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور)، مصدر سابق.

(٨) (شمس العرب تسطع على الغرب)، زيغريد هونكه، مصدر سابق.

(٩) (شمس العرب تسطع على الغرب)، زيغريد هونكه، مصدر سابق.

(١٠) (شمس العرب تسطع على الغرب)، زيغريد هونكه، مصدر سابق.

(١١) (شمس العرب تسطع على الغرب)، زيغريد هونكه، مصدر سابق.

(١٢) (شمس العرب تسطع على الغرب)، زيغريد هونكه، مصدر سابق.

(١٣) (شمس العرب تسطع على الغرب)، زيغريد هونكه، مصدر سابق.

(١٤) (شمس العرب تسطع على الغرب)، زيغريد هونكه، مصدر سابق.

(١٥) (غوته والعالم العربي) ترجمة عدنان عبَّاس علي، مراجعة عبد الغفَّار مكاوي – الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. (سلسلة عالم المعرفة، ١٩٤).

(١٦) (غوته والعالم العربي) مصدر سابق.

(١٧) (غوته والعالم العربي) مصدر سابق.

(١٨) إدوارد بوكوك (بالإنكليزية: Edward Pococke) (1604 - 1691) مستشرق إنكليزي وعالم كتاب مقدس، أبحر في ١٦٣٠ إلى حلب حيث درس اللغة العربية وجمع عدة مخطوطات قيمة، ثم سافر إلى "طرابلس الشام" لبنان، وفي عام ١٦٣٧ زار بيروت، من مؤلفاته كتاب عن تاريخ العرب (بالإنكليزية: Specimen historiae arabum) بالاعتماد على "غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي" المعروف بـ"ابن العبري"، وهو لاهوتي وفيلسوف وعالم سرياني ولد عام ١٢٢٦ في مدينة ملاطية، ولقب بـ"ابن العبري" لأن جده أو والده قدم من قرية (عبرى) الواقعة قرب نهر الفرات، ويوضح "ابن العبري" سبب هذه التسمية فيقول في بيت شعر له (بعد تعريبه): إذا كان ربنا (المسيح) سمى نفسه سامرياً فلا غضاضة عليك إذا دعوك بابن العبري لأن مصدر هذه التسمية نهر الفرات.

(١٩) نشرة بوكوك هي النشرة التي ألهمت جيل الناشرين الغربيين ونبهت على أهمية نص ابن طفيل، مما أدى إلى إعادة طباعتها ونشرها وترجمتها إلى لغات أوروبية مختلفة منها الهولندية عام ١٦٧٢ وحملت

الأحرف الأولى من اسم المترجم س. د. ب. واعتمدت على نشرة بوكوك. والترجمة الإنكليزية عام ١٦٧٤ على يد جورج كيت، وصدرت عام ١٧٠١ في روتردام. ثم أعد بعد ذلك سيمون أوكلي أستاذ اللغة العربية في كامبردج ترجمة للقصة من اللغة العربية رأسا، متحررا من ترجمة بوكوك، وسماها "الرقي بالعقل البشري كما يظهر في حياة حي بن يقظان" عام ١٧٠٨. ثم بالألمانية عام ١٧٢٦ أعدها س. جورج بريتيوس في فرانكفورت اعتمادا على ترجمة بوكوك اللاتينية، وكذلك أعد ج غ ايكهورن ترجمة ثانية نشرت عام في برلين عام ١٧٨٣.

(٢٠) شوقي بدر يوسف – "العقاد وفن القصة" ٢٠٠٥/١٢/٧، موقع (القصة السورية).

(٢١) شوقي بدر يوسف – "العقاد وفن القصة" – مصدر سابق

(٢٣) عباس محمود العقاد – "قصة القصة"، مجلة "الهلال"، القاهرة، ج ٨ المجلد ٥٦ ص٣، أغسطس ١٩٤٨.

(٢٤) "مسابقة القصة"، "الهلال"، القاهرة، ج ٧، المجلد ٥٧، يوليو ١٩٤٩ ص ١٢٢.

(٢٥) شوقي ضيف – "تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي"، دار المعارف / مصر، الطبعة: ٢٤، عام ٢٠٠٣.

(٢٦) الطاهر أحمد مكي – "القصة القصيرة"، ص ٣٤، دار المعارف / القاهرة – ١٩٧٧.

الفهرس

نبذة عن المؤلف

فؤاد الحاج – من مواليد شمال لبنان ١٩٤٧

– عمل مراسلاً ومصوراً في شمال لبنان لصحيفتي (بيروت) و(المحرر) منذ عام ١٩٦٨، ثم لصحيفة (الأنوار) ١٩٧٢ – ١٩٧٦.

– هاجر إلى أستراليا عام ١٩٧٧ وزاول مهنة الصحافة كمندوب لجريدة "النهار" الأسترالية في ملبورن منذ عام ١٩٨٧ وحتى بداية عام ١٩٩٢.

– عمل مراسلاً من أستراليا لعدد من الصحف منها "الدستور" الأردنية، و"الجمهورية" ومجلة "ألف باء" ووكالة الأنباء العراقية.

– عضو الاتحاد العام للصحفيين العرب.

– عضو جمعية الصحفيين الأستراليين.

– عمل في مجال الخدمات الاجتماعية متطوعاً وموظفاً، في ولاية فيكتوريا (١٩٨٣ – ١٩٩١).

- عضو ناشط ومشارك في عدد من المؤتمرات والندوات السياسية والثقافية في العراق وليبيا والأردن ولبنان، منذ عام ١٩٩٠ حتى عام ٢٠٠٤.

- عضو ومؤسس في "المنتدى الأدبي" في ولاية فيكتوريا سنة ١٩٩٦.

- صدر له ديوان نثر في ملبورن، نهاية عام ١٩٩٦، بعنوان "الطائر الأسير".

- أسس جريدة "المحرر الأسترالي" كمطبوعة سنة ١٩٩٢، وفي عام ١٩٩٤ أدخلها إلى شبكة المعلومات الدولية، باسم (المحرر) فكانت أول مطبوع إلكتروني باللغتين العربية والإنكليزية في (الانترنيت) من أستراليا، وفي نهاية ٢٠١٤ أغلقها وبقيت محفوظة أعدادها في موقع (الأرشيف العالمي).

- عضو ومؤسس في لجنة الأستراليين العرب في ولاية فكتوريا سنة ١٩٩١.

- عضو ومؤسس جمعية الصداقة الأسترالية العراقية في أستراليا التي ضمت مجموعة من الناشطين والسياسيين الأستراليين البارزين سنة ١٩٩٢.

- عضو ومؤسس لجنة دعم أطفال العراق مع مجموعة من الناشطين اليساريين الأستراليين سنة ١٩٩٢.

- عضو في مؤسسات وتجمعات أسترالية-عربية منذ سنة ١٩٧٨ للدفاع عن القضية الفلسطينية والقضايا العربية.

- مسؤول لجنة الثقافة والتراث في الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم فرع فيكتوريا منذ سنة ٢٠١١ حتى سنة ٢٠١٦. وقد أصدر دراسات مطبوعة بالعربية والإنكليزية عن الأديبين ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران.

- في أيار/مايو سنة ٢٠١١ أصدر كتاب (الصحافة العربية في أستراليا – نشأة الصحافة – التضليل الإعلامي) من القطع الكبير (٢٩٤) صفحة ثم أصدر طبعة ثانية منه مزيدة ومنقحة من القطع الكبير (٣٩٤) صفحة في آذار/مارس عام ٢٠١٢.